جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الملحمة في الشعر العربي
أرجوزة عبد الله بن المعتز في تاريخ أمير المؤمنين المعتضد (نموذجاً)

إعداد

د/ رمضان خليفة فريج حسن

مدرس الأدب والنقد في جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالقاهرة.

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الملحمة في الشعر العربي أرجوزة عبد الله بن المعتز في تاريخ أمير المؤمنين المعتضد (نموذجًا).

رمضان خليفة فريج حسن

قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Ramadan20200@azhar.edu.eg

الملخص:

لابن المعتز في الشعر منزلة رفيعة، فهو من الشعراء المطبوعين، واسعي الفكر، عدَّه البعض أشعر أهل زمانه، تعدُّ أرجوزته في مدح المعتضد من أجمل ما كُتِبَ من أراجيز في الشعر العربي، وهي تعد ملحمة إسلامية، فبها نرد على من ادَّعى أن الشعر العربي خال من الملاحم الشعرية، موضوع الملحمة هو التأريخ البطولي لبطل أسطوري، وهو الخليفة العباسي المعتضد، وصراعه مع قوى الشر التي تعددت وجوهه في الملحمة، اعتمد العرض في الملحمة على أسلوب السرد الإخباري المباشر، وفيه يظهر الراوي، ويختفي حوار الشخصيات، تنقل فيها بالسامع بين مواضع مختلفة؛ لينفي عنه السآمة والملل، توافرت في الأرجوز عناصر الملحمة الأدبية (الابتهال إلى الله- تعالى- ، العرض، الشخصيات، واستدعاء الشخصيات التراثية، حيث حرص على استدعاء الكثير من الشخصيات التراثية، مركزًا على الشخصيات الشريرة، وهو استدعاء ينم عن وعيه إيحاءها، وإدراكه دلالتها، وتؤكد القدرة الإبداعية لديه، واتخذ منها برهانًا على ما يريد التعبير عنه،

الملحمة مروية بصيغة المتكلم، شاعت فيها مفارقة الاستباق، كما نجح في توظيف آلية الاسترجاع؛ لإبراز القيمة الدلالية للمقارنة بين عهدين.

الكلمات المفتاحية: الملحمة، الأرجوزة، ابن المعتز، المعتضد، الشعر العربي.

The Epic in Arabic Poetry: Abdullah ibn al-Mu'tazz's Poem on the History of the Commander of the Faithful, al-Mu'tadid (as a Model).

Ramadan Khalifa Fareej Hassan
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language in Cairo, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Ramadan20200@azhar.edu.eg

Abstract:
Ibn al-Mu'tazz holds a high status in poetry. He is a prolific poet with a broad mind. Some consider him the most eloquent poet of his time. His poem in praise of al-Mu'tadid is considered one of the most beautiful poems ever written in Arabic poetry. It is considered an Islamic epic, and with it we respond to those who claim that Arabic poetry is devoid of epic poems. The subject of the epic is the heroic history of a legendary hero, the Abbasid Caliph al-Mu'tadid, and his struggle against the forces of evil, whose multiple faces appear in the epic. The presentation in the epic relies on a direct narrative style, in which the narrator appears while the characters' dialogue disappears, transporting the listener between different settings. To relieve boredom and tedium, the Arjouz combines the elements of a literary epic (supplication to God Almighty, presentation, characters, and the invocation of traditional figures). He was careful to invoke many traditional characters, focusing on evil characters. This invocation reflects his awareness of their significance and understanding of their significance, and confirms his creative ability. He used them as proof of what he wanted to express. The epic is narrated in the first person, and the paradox of anticipation is prevalent. He also successfully employs the mechanism of flashback to highlight the semantic value of the comparison between two eras.

Keywords: Epic, Arjouz, Ibn al-Mu'tazz, al-Mu'tadid, Arabic poetry.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد المبعوث؛ رحمة للعالمين، وبعد:

فذهب البعض إلى أن تراثنا العربي يخلو من الشعر الملحمي، فمنهم من يقول: " ومن الغريب أن العرب على مناوشاتهم العديدة، وأيامهم المشهورة، لم يطرقوا هذا النوع من الشعر، فلم يكن في الأدب العربي ملحمة بالمعنى التام، وعللوا هذا النقص بضيق مخيلة الشاعر العربي، وعجزه عن تصوير المشاهد العظيمة، والمسارح الفسيحة التي نراها في الملاحم"[1].

ومنهم من أنصف وساق نماذج تحمل بعضًا من ملامح الملاحم لامرئ القيس، وعمرو بن كلثوم، وغيرهما، إلا أنه اتهمها بالنقص البين في تحديد الأزمنة والأمكنة، وصفات الأشخاص، مؤكدًا أن العرب لم يفهموا الملحمة الحقيقية، ولم يهتموا بهذا النوع من الفن، مستدلًا بأن الشعر العربي وضع في الأصل لإثارة العاطفة، لا للقص ولا الإخبار، وأنَّ الشاعر العربي خطيب لا قصاص، فإذا عرض له في أثناء قصيدته موقف حكائي، أو شرح حادثة، ذكرها باقتضاب، منتقلًا إلى ما يرغب فيه من هياج العواطف، فالقص في الشعر الجاهلي، إمَّا برهان على بطش الشاعر، وسطوة قومه، كما في شعر عنترة، أو وسيلة لنيل رغبة كما في شعر الأعشى، فالشاعر الجاهلي، إذا ما استعمل القصة، فهو يستعملها واسطة لا غاية[2].

واتهم ابن الأثير –في المثل السائر– الذوق العربي، بأنه لا يحسن في القصائد الطوال، فالشاعر العربي إذا أراد أن يشرح أمورًا متعددة ذوات معانٍ

---

١ – الشعر الجاهلي (نشأته– فنونه– صفاته) بحث أدبي انتقادي، فؤاد البستاني، بيروت ١٩٢٧م ص١٩.

٢ – ينظر المرجع السابق ص١٩، ٢٠.

مختلفة في شعره،واحتاج إلى الإطالة بأن ينظم مائتي بيت، أو أكثر، فإنَّه لا يجيد في الجميع، ولا في الكثير منه، بل يجيد في جزء قليل، والكثير من ذلك رديء غير مرضي، والعجم يفضلون العرب في هذه النقطة المشار إليها، فإنَّ شاعرهم يذكر كتابًا مصنفًا من أوله إلى آخره شعرًا، وهو شرح قصص وأحوال، ويكون مع ذلك في غاية الفصاحة والبلاغة[١]

ولكن العودة إلى تراثنا والتنقيب فيه، تزيل هذا الظن،ويعطي حقيقة أخرى، وهي أن ملامح الكثير من الشعر الملحمي، تظهر في تراثنا العربي.

ويهدف هذا البحث إلى دفع ذلك التوهم، وتأكيد تلك الحقيقة، وذلك عن طريق تتبع تقنيات النص الملحمي في أرجوزة عبد الله بن المعتز؛ لأبرز مدى قدرته وبراعته في مزج عناصر الملحمة في شعره التاريخي، وكيف وظَّف هذه التقنيات في خدمة نصه الشعري؛ لتصبح هذه الأرجوزة مجموعة من الأفعال القصصية الملحمية، موجهة نحو غاية ونهاية في تسلسل منطقي.

فإذا كان الغرض من الشعر الملحمي، والقصصي وصف البطولة، وجمع التاريخ وحفظ الأخبار، فالأرجوزة تدور حول وصف بطولة المعتضد، ونقل تاريخه، وحفظ أخباره، وذلك فيما يزيد على أربعمائة بيت، مما يقتضى له عمر من النظم، وضرب من التأليف المقصود الذي لا يتم حسنه إلا بالتنسيق وسياسة الألفاظ، وإحكام اللحمة بين فصل وفصل، وبين قطعة وقطعة، ثم انتقاء الألفاظ،وتصفية الأسلوب، واستيفاء صنعة التأليف، ولا يكون ذلك إلا بالصبر، وهذا النوع لا يتفق على الارتجال، ولا بد فيه من الصنعة[٢].

---

١ – ينظر المثل السائر، لابن الأثير، قدمه، وحققه، وعلق عليه، د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة القاهرة ، ج٤ص١١.

٢ ينظر تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ج٣ص١١١.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أتكأ على المنهج الوصفي التحليلي، حيث قمت باستنباط عناصر تقنيات الملحمة في هذه الأرجوزة، موضحا كيف وظفها الشاعر ببراعة في أرجوزته التاريخية هذه.

وترجع أهمية البحث إلى أن هذه الأرجوزة لم تلق – من هذا الجانب– عناية من قبل الكتاب بالفحص والدراسة.

الشاعر عبد الله بن المعتز:

هو عبد الله بن محمد المعتز بن جعفر المتوكل على الله ينتهي نسبه إلى عبد الله بن العباس– رضي الله عنه– يكنى أبا العبَّاس، ولد في سامراء في خلافة جده المتوكل، والأرجح أن مولده في شعبان سنة سبع وأربعين ومائتين.

لم تحفظ لنا كتب التراجم كثيرا عن نشأته، ولد وتربى في قصور الخلفاء ففي طفولته كانت خلافة أبيه المعتز، الذي أولاه عناية واهتماما؛ فتأدب على يد كبار علماء اللغة، من أمثال أبي العباس المبرد، وثعلب؛ فحسن شعره، ووسع فكره، وأبدع شعرًا ونثرا.

وقد ذكر مواد ثقافته في شعر يخاطب به مؤدبه ابن سعيد وهو في سن ثلاث عشرة من البسيط:

أصبحت يا بن سعيد حزت مكرمة ... عنها يقصِّر من يحفي وينتعل
سرْبَلْتَني حكمة قد هذبت شمسي ... وأججت غرب ذهني فهو مشتعل
أكون إن شئت قسًّا في خطابته ... أو حارثًا وهو يوم الفخر مرتجل
وإن أشأ فكزيد في فرائضه ... أو مثل نعمان ما ضاقت بي الحيل
أو الخليل عروضًا أخا فِطَنٍ ... أو الكسائي نحويًّا له علل
تغلي بداهةُ ذهني في مركَّبها ... كمثل ما عرفت آبائي الأوَّل
وفي فمي صارم ما سلَّه أحد ... من غمده فدرى ما العيش والجذل
عقباك شكر طويل لا نفاد له ... تبقى معالمه ما أطَّت الإبل[1]

١ – معجم الأدباء ياقوت الحموي، ت/ د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط١ ١٩٩٣م، ج١ص٢٦٧.

فهو يقول: إنَّه تلقَّن عن ابن سعيد ما به يكون خطيبًا كقس إياد، وشاعرًا كالحارث بن حلزة، وماهرًا في علم الميراث كزيد بن ثابت، وفي علم الفقه كأبي حنيفة، وبارعًا في العروض كالخليل، وفي النحو كالكسائي.

من مصنفاته (الزهر والرياض- البديع- مكاتبات الإخوان بالشعر- الجوارح والصيد – السرقات- أشعار الملوك- الآداب – حلي الأخبار- التفات الشعراء المحدثين- الجامع في الغناء- أرجوزة في ذم الصبوح) قتل مخنوقًا ٢٩٦هـ[١]؛ حيث تحزب له جماعة من الجند والأتراك، وخلعوا المقتدر، وبايعوا ابن المعتز، ولقبوه المرتضي بالله، أقام في الخلافة يومًا وليلة، ثم تحزَّب أصحاب المقتدر، وحاربوا ابن المعتز، وشتتوا جنده، وأعادوا المقتدر إلى دسته، واختفى ابن المعتز في بيت ابن الجصاص التاجر الجوهري المشهور يومئذ، فأخذه المقتدر، وسلَّمه إلى مؤنس الخادم، فقتله، ودفعه إلى أهله مخنوقًا، ملفوفًا في كساء[٢] ابن المعتز وأرجوزته في ميزان النقد:

لابن المعتز في الشعر منزلة رفيعة، قال عنه الصولي في أوراقه " شاعر مفلق، محسن، حسن الطبع، واسع الفكر، كثير الحفظ والعلم، يحسن في النظم والنثر، من شعراء بني هاشم المتقدمين، وعلمائهم...ما رأيت عباسيًا قط أجمع منه، ولا أقرب لسانًا كان من قلب..."[٣]

قال عنه أبو العباس أحمد بن يحي " هو أشعر أهل زمانه" وقال عنه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن يحي " أشعر قريش؛ لأنه قال في الخمر، والغزل،

١ – تنظر ترجمته في معجم الأدباء، ج٤ ص ١٥١٩: ١٥٢٦

٢ – ينظر تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان،علق عليه د. شوقي ضيف، دار الهلال ج٢ص١٦٤.

٣ – ينظر الأوراق، قسم أخبار الشعراء، للصولي، مطبعة الصاوي ط١، ديسمبر ١٩٣٦م ج٣ص١٠٨

والمدح، والهجاء، والمذكر، والمؤنث، والمعاتبات، والزهد، والأوصاف، والمراثي، فأحسن في جميعها، وهو حسن التشبيه، مليح الألفاظ، واسع الفكر[١]

قال عنه جرجي زيدان: " كان ابن المعتز شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر، قريب المأخذ، سهل اللفظ، جيد القريحة"[٢] من شعره (من البسيط)

أشكو إلى الله أحداثًا من الزمن ... بريننـي مثل بري الدرج بالسَّفَن

لم تبق في العيش إلا مرارته ... إذا تذوقته والحلو منه فني

يا نفس صبرا وإلا فاهلكي جزعا ... إن الزمان على ما تكرهين بني

لا تحسبي نعمًا سرَّتك صحبتها ... إلا مفاتيح أبواب من الحزن

ما المرء إلا كعنز السوء يضربه ... سوط الزمان ولا يمشي على سنن

ومن شعره – أيضًا–: (من الطويل)

نهى الجهلَ شيبُ الرأسِ بعد نزاع ... وما كل ناه ناصح بمطاع

وإخوان سوء قد حرثت إخاءهم ... فكانوا لغرس الود شر بقاع

ولما نأوا عني نأوا بتأسُّفي ... وقل حنيني نحوهم ونزاع

وكم ملك قاسى العقاب ممنَّع ... قدير على قبض النفوس مطاع

وإني لأستوفي المحامد كلها ... وقد بقيت لي بعدهن مساع

ومن نثره: " الحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر في اللسان، النصح بين الملأ تقريع، المتواضع من العلماء أكثر علمًا، كما أن المنخفض من الأرض أكثر البقاع ماء، إذا زاد العقل نقص الكلام، الشفيع جناح الطالب، الدار الضيقة العمى الأصغر"[٣]

---

١ – ينظر الأوراق ج٣ص١٠٧

٢ – تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ج٢ص١٦٥.

٣ – ينظر معجم الأدباء، ج٤ ص١٥٢٤.

تعد هذه الأرجوزة من أجمل ما كتب من أراجيز في الشعر العربي، تدل على طول النفس وخصوبة الموهبة[١]، أوصى بقراءتها طه حسين؛ لأن في قراءتها ما يبعث الشعراء على محاكاتها التي تعود بشيء كثير على الشعر في هذا العصر، وعلل لهذه الوصية بقوله: " فأجمل ما فيه أنه بريء كل البراءة من التكلف، لم يبحث عن لفظ غريب، ولم يتكلف معنى غريبا، وإنما هو يأخذ الأشياء التي حوله، فيعبر عنها بالألفاظ التي تدور على ألسنة الناس جميعًا"[٢]

أثنى عليها الدكتور/ أحمد أمين ثناء حسنًا، ووصفها بأنها ملحمة إسلامية في كتابه (ظهر الإسلام) فقال: إنها تسدُّ بعض النقص في الشعر العربي من حيث إنه خال من الملاحم الشعرية.[٣]

والأرجوزة من بحر الرجز وهو بحر الجد والخشونة، والإغراب اللفظي فيه، ويقترن بالحروب رغم أنه نشأ أصلا للحداء[٤]

إن فن الرجز – بوصفه فنا متميزا من فنون الشعر– لم يستطع قوله كل شاعر؛ لأن من الشعراء من يستطيع قول الرجز، ولا يستطيع نظم القصيد، وعلى عكس ذلك، فإن هناك شعراء كبارا ذاعت قصائدهم واشتهرت بين الناس، ولم تكن لهم قدرة على قول الرجز، كما كانت هناك فئة تجمع بين الفنين، ولكنها

١ – ينظر الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٦ ١٩٨٦م ص ٧٨٨.

٢ – من حديث الشعر والنثر، طه حسين، دار المعارف مصر، ط١ ١٩٣٦م ص١٧٤: ١٧٥.

٣ – المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله بن محمد المجذوب، دار الآثار الإسلامية ، وزارة الإعلام الصفاة، الكويت ط٢/ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ج١ص٢٩٦

٤ – ينظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف ط١١، دار المعارف القاهرة ص٣٩.

قليلة، يقول الجاحظ: " وفي الشعراء من لا يستطيع مجاوزة القصيد إلى الرجز، ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرجز إلى القصيد، ومنهم من يجمعهما"[١].

إطلالة على الأرجوزة:

إن هذه الأرجوزة، تحمل سمات ملحمية واضحة؛ حيث صورت المواقف البطولية العظيمة في تاريخ أمير المؤمنين المعتضد بأسلوب راق، يعتمد على الجزالة، فكانت حياة المعتضد محور هذه الملحمة، تخللتها أقاصيص عدة أبرزت وجوه المفاسد قبيل المعتضد، وكيف قضى عليها بأفعاله البطولية، والتحامه في مواقع عظيمة بأعدائه، استهلها ابن المعتز – يشبه الابتهالات الإلهية في الملاحم اليونانية– بالبسملة والحمد والصلاة على رسول الله– ﷺ–:

باسم الإله الملك الرحمن ذي العز والقدرة والسلطان
الحمد لله على آلائه أحمده والحمد من نعمائه
وجعل الخاتم للنبوة أحمد ذا الشفاعة المرجوة
الصادق المهذب المطهرا صلَّى عليه ربنا فأكثرا[٢]

ثم بدأ في عرض وسرد تاريخ المعتضد– موظفًا آلية المفارقة– ليبرز دوره وكيف أنقذ الأمة الإسلامية التي كانت قبله أمة ضائعة ذليلة مستكينة، تخاف من طنين ذبابة، في حاجة إلى بطل أسطوري خارق، تتجسد فيه المثل العليا والقيم، ولما كان الزمن الماضي "المنتهي" هو ما يميز الملحمة[٣]: قام ابن المعتز

---

١ – البيان والتبيين للجاحظ، ت/ عبد السلام هارون ط٢، مكتبة الخانجي مصر، ١٩٦٠، ج١ص٢٠٩.

٢ – أرجوزة أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى قتيلا ٢٩٦هـ في تاريخ أمير المؤمنين المعتضد بالله طبع على نفقة ابن منصور ط١ ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، طبع بالمطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر ط١ ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م. ص٢.

٣ – ينظر المصطلح السردي، جراند برانس، ترجمة، عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، =

بسرد أحداث الماضي، معتمدا بشكل كبير على التاريخ، أي تاريخ الأمة التي نشأت فيها الملحمة، معددا وجوه المفاسد والمظالم على أيدي طغاتها؛ وذلك لاستيعاب الدور الذي قام به البطل.

قام بأمر الملك لما ضاعا وكان نهبا في الورى مشاعا
مذللا ليست له مهابة يخاف إن طنت به ذبابه
وكل يوم ملك مقتول أو خائف مروع ذليل[1]

انتشرت قبله الفوضى والشغب:

وكل يوم شغب وغصب وأنفس مقتولة وحرب[2]

وانتهكت حرمة النساء:

وكم فتاة خرجت من منزل فغصبوها نفسها في المحفل
وفضحوها عند من يعرفها وصدفوا العشيق كي يقرفها[3]

انتشرت الجباية، وأخذ المال عنوة:

وكل يوم عسكرا فعسكرا بالكرج والدور مواتًا أحمرا
ويطلبون كل يومٍ رزقا يرونه دينا لهم وحقًّا
كذلك حتَّى أفقروا الخلافة وعودوها الرعب والمخافة[4]

ثم أخذ يسرد مظاهر الظلم والإذلال للأمة على أيدى أشرارها، وكيف كانت تجبى أموال الخراج قبل المعتضد في ألوان من التعذيب والتنكيل من جانب

=

القاهرة ط١ ٢٠٠٣، ص٧٥.

١ – الأرجوزة ص٢.

٢ – الأرجوزة ص٣

٣ – الأرجوزة ص٣

٤ – الأرجوزة ص٣.

من يقوم بجباية الضرائب، وأموال الخراج، فكثيرًا ما كانوا يعذبون أصحاب الضياع والأعيان، وذوي الوجاهة بالضرب، والسحب على الوجوه والرسف في القيود، وصب الزيت على رءوسهم، وتعليقهم في الجدر من أيديهم وأرجلهم؛ حتَّى يستخرجوا منه كل ما يريدون من أموال:

فكم وكم من رجل نبيل ... ذي هيبة ومركب جليل
رأيته يعتلُّ بالإخوان ... إلى الحبوس وإلى الديوان
حتَّى أقيم في جحيم الهاجرة ... ورأسه كمثل قدر فائرة
وجعلوا في يده حبالا ... من قنَّب يقطِّع الأوصالا[1]

ويظل يعذب بصنوف العذاب، حتَّى لا تبقى فيه قدرة على المقاومة، فيتوسل إليهم أن يعرضوه على التجار؛ كي يقرضوه بعض أموالهم، أو يبيعهم بعض عقاره، وأن يؤجلوه لذلك خمسة أيام، وبعد لأي يجعلونه أربعة، ويأتيه أصحاب الربا الفجرة، فيقرضونه واحدًا بعشرة، ويكتبون عليه صكًّا بأنه باع ضيعته، وينزل على إرادتهم حتى يخلص من هذا التعذيب الذي لا يطاق بدفعه ما يريد أرباب الخراج:

حتَّى إذا طال عليه الجهد ... ولم يكن مما أراد بد
قال ائذنوا لي أسأل التجار ... وإلا بعتهم عقارا
وأجلوني خمسةً أيَّاما ... وطوِّقوني منكم إنعاما
وضيقوا وجعلوها أربعة ... ولم يؤمَّل في الكلام منفعة
وجاءه المعيَّنون الفجرة ... وأقرضوه واحدًا بعشرة
وكتبوا صكًّا ببيع الضيعة ... وحلَّفوه بيمين البيعة
ثمَّ تأدَّى ما عليه وخرج ... ولم يكن يطمع في قرب الفرج[2]

١ – الأرجوزة ص١٤.

٢ – الأرجوزة ص١٤: ١٥.

وكأننا في دولة لم تحكم بأحكام الشريعة الإسلامية، بل في دولة لصوص مختلسين وقطاع طرق، ظل الناس هذا دأبهم حتى جاءهم المغيث البطل الأسطوري أبو العباس الخليفة (المعتضد)

ولم يزل ذلك دأب الناس حتَّى أغيثوا بأبي العباس
الساهر العزم إذا العزم رقد الحاسم الداء إذا الداء ورد
فجمع الرأي الذي تفرقا وأبرأ الداء الذي أعي الرقى[1]

وبين كيف نجح في القضاء على هذا كله، وذلك بعنايته بالجيش والدقة في اختيار جنوده:

واختار من جنوده كل بطل مجرب إن حضر الموت قتل
ثمَّ نفى كل دخيل قد مرق إذا رأى السيف جرى من الفرق
حتى إذا أصفى خيار الجند قال يا حرب اهزلي أو جدي[2]

بعد ما كان الجند:

يضحك منه كل من يراه ويشتهي برجاسه قفاه
وهربت سهامه من الهدف كأنه يرمي برجل لا بكف
وإن بدا بالرمح كان أعجبا تحسبه قردًا يجرُّ ذنبا[3]

وهكذا يسير ابن المعتز في ملحمته التي بلغت نحو أربعة عشر وأربعمائة بيت في تاريخ الخليفة المعتضد.

ولا يمكن أن نغفل الأثر النفسي وراء نظمه هذه الأرجوزة؛ حيث قتل أبوه وجده من قبل على يد الأتراك

---

١ – الأرجوزة ص٤.

٢ – الأرجوزة ص١٠

٣ – الأرجوزة ص١٠.

فكل يوم ملك مقتول أو خائف مروع ذليل[١]

فالملك المقتول أبوه وجده قبله، والخائف المروع الذليل هو؛ ممَّا أذى نفسه إيذاء شديدًا، إذ نشأ لا يعرف أمنا ولا اطمئنان القلب، وظلَّ يرافقه هذا الأحساس طوال حياته؛ ممَّا فجَّر ينبوع المدح عنده للمعتضد؛ إذ وجده ملاذًا وأمنًا، حيث كان بطلًا مغوارًا، استطاع أن يكسر شوكة الترك، وأن يقلم أظفارهم، مما شفي غليله من قتله جده وأبيه[٢]

فنشعر ببهجة حقيقية، ومشاعر صادقة، فهو مدح ينبعث عن عاطفة صادقة حارة، يظهر فيه التشفي من أعدائه، بعد ما شكت الأرض إلى السماء كثرة الدماء:

وارتفعت به أيدي العباد شرعا بعد الصلاة جمعا فجمعا
أغرى به الله هزبرا ضيغما إذا رأى أقرانه تقدَّما
لا عاجز الرأي ولا بليدا لكن شجاعا يخضب الحديدا
مجاهدا برأيه ونصله ومالـه وقوله وفعله
مسايفًا مطاعنًا منابلًا موافقا منازلا مجاولا[٣]

فكان المعتضد بطلا أسطوريا حقا، شجاعا شجاعة خارقة، يتقن فنون الحرب، ضربا بسيف، أو طعنا برمح، أو رميا بنبل. لا يبخل بدمه ولا بماله.

١ – الأرجوزة ص٢.

٢ – ينظر تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، العصر العباسي الثلني، دار المعارف، ط١٢، ص٣٣٧.

٣ – الأرجوزة ص٦.

الملحمة:

ورد في العين: ألحمت القوم، قتلتهم حتى صاروا لحما، والملحمة جمعها ملاحم، وهي الحرب ذات القتل[١] وورد في لسان العرب: الملحمة الواقعة العظيمة القتل، وقيل: موضع القتال، وألحمت القوم، إذا قتلتهم؛ حتى صاروا لحما، وألحم الرجل إلحامًا، إذا شبَّ في الحرب، ولم يجد مخلصًا، وقيل من اللحم؛ لكثرة لحوم القتلى فيها، والملحمة: الحرب ذات القتل الشديد، والوقعة العظيمة في الفتنة[٢].

وهي في اللغة اليونانية، معناها القصة، أو الشعر القصصي الذي يختص بوصف القتال[٣]

أمَّا تعريفها اصطلاحًا، فهي " قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال التي تبوئهم منزلة الخلود بين بني وطنهم، ويتضح فيها عنصر القصة، فالحوادث تتوالى، متمشية مع التطورات النفسية التي يستلزمها تطور الأحداث"[٤]

- **الراوي في الملحمة:**

إذا كانت الملحمة محاكاة عن طريق القصص شعرا، تعتمد على رواية الأحداث[٥]، فلابد لها من راو، والراوي هنا ابن المعتز، فهو الذي يقوم بالقص ، وهو في الأرجوزة شاهد لم يشارك في الأحداث، لكنه قام بعدة وظائف:

---

١ – معجم العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ت/ د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال بيروت ج٣ ص ٢٤٥: ٢٤٦.

٢ – لسان العرب، لابن منظور، مادة (لحم) ج١٣، دار صادر بيروت، ط١، ٢٠٠٠م ص١٨٢.

٣ – ينظر وقفة مع الأدب الملحمي، هدى لوشن، جامعة الشارقة عمان، ٢٠٠٣م ص١١.

٤ – ينظر النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط٣/ ١٩٩٧م ص٩٠.

٥ – ينظر النقد الأدبي الحديث، ص٩٠.

- **الوظيفة السردية الوصفية:**

تقوم الملحمة على السرد من بدايتها إلى نهايتها وظهرت تلك الخصيصة في استخدامه ضمير المتكلم؛ ليروي لنا المواقف والأحداث،

هـــذا كتـــاب ســـير الإمـــام مهـــذبا مـــن جـــوهر الكـــلام

أعنـي أبـا العبـاس خيـر الخلـق للملـــك قـــول عـــالم بـــالحق[١]

وفي سرده يلجأ– أحيانا– إلى التكرار؛ لتصوير مشهد ما وأحداثه، لإضفاء الحيوية على المشهد، ولإعطائه تأثيرات نفسية وحركية معينة، ليشعرنا وكأننا نخوض التجربة، ونعيش الأحداث كما في تكراره وإلحاحه على كلمة عام؛ ليشعرنا مدى مثابرة بطل ملحمته:

فلم يزل عامًا وعامًا ثاميًا وثالثًا يكابد الدواهيا[٢]

وتكراره اسم الإشارة؛ ليبرز انتشار المفاسد القتل هنا وهناك، في القريب والبعيد:

وكم سوى ذاك وهذاك وذا أبادهم حتفًا وقتلا هكذا[٣]

ومن تكراره إلحاحه على كلمة آخر؛ ليبرز مدى بطولة بطل ملحمته فسل عمن أبادههم واحدًا واحدًا:

سل عنه قيلا صرعه بشيزرا وآخرا وآخرا وآخرا[٤]

فلا تسل واحدا بل سل عنه الكثير الذي أبادهم بقوته الأسطورية.

ومن صور التعذيب التي ألح عليها؛ ليبرز مدى الذل والمهانة (النتف)

---

١ – الأرجوزة ص٢.

٢ – الأرجوزة ص٦.

٣ – الأرجوزة ص٣٦.

٤ – الأرجوزة ص٧.

فالزوج الذي يغار على زوجته التي تغتصب أمامه، تنتف لحيته:

وكـــم وكـــم مـــن حـــرة حواهـــا ســـــــبية وزوجهـــــا يراهـــــا

وحصـــل الـــزوج لضـــعف حيلتـــه علـــى تقليـــه ونتـــف لحيتـــه[1]

والموسرون تنتف لحاهم حتَّى يخضعوا:

فقال جيراني ومن يعرفني فنتفوا سباله حتَّى فني[2]

ولجأ إلى التكرار عند حديثه عن بطل ملحمته، والتكرار لم يكن بذكر اسمه، فمن المفارقات أنه لم يذكر اسمه إلا مرتين بكنيته (أبا العباس) ولكن كرره بتكرار ضميره فيما قام بفعله (قام بأمر الملك- يحبو المطيع- يبيد العاصي- يخضب السيوف- يقبل المستأمن- يغفر الزلات...)

مجاهـــــدا برأيـــــه ونصـــــله ومالـــــــه وقولـــــه وفعلـــــه

مســـــايفًا مطاعنًـــــا منـــــابلا موافقًـــــا منـــــازلا مجـــــاولا

فكـــم لـــه مـــن شـــدة وحملـــه وضـــــربة وطعنـــــة وقتلـــــة

فلـــــم يـــــزل برأيـــــه وحيلـــــه وحزمـــــه وقولـــــه وفعلـــــه[3]

وكان هذا التكرار بمثابة التأكيد على أن الملحمة محورها شخص واحد، والتأكيد على أهمية الدور الذي لعبته هذه الشخصية فيها.

ووظف السرد في وصفه مشاهد مرتبطة بأحداث الحكي، كمظاهر الفساد قبل عصر المعتضد، كأفعال العلوي الذي عاث في الأرض فسادًا، وصفها وصفًا دقيقًا أشبه بلوحة فنية تكاملت فيها جميع أجزاء الصورة من صوت ولون وحركة، فلنتأمل:

---

١ – الأرجوزة ص٣.

٢ – الأرجوزة ص٨.

٣ – الأرجوزة ص٧.

فلـــم يـــزل بـــالعلوي الخـــائن المهلـــك المخـــرب المـــدائن
والبـــائع الأحـــرار فـــي الأســـواق وصـــاحب الفجـــار والمـــرَّاق
وقاتـــل الشـــيوخ والأطفـــال وناهـــب الأرواح والأمـــوال
ومهلـــك القصـــور والمســـاجد ورأس كـــل بدعـــة وقائـــد[1]

فنقل الراوي هنا مشهدا حدثيا خاصا عن الشخصية الرئيسة، موظفًا دلالة اسم الفاعل الذي نوع اشتقاقه من الثلاثي وغير الثلاثي (المهلك، البائع، القاتل، الناهب، القائد) ثم قام بوصف كيفية القضاء عليه، وكيف علت رأسُه القناة، في مشهد يوحي بالتشفي والانتقام

حتى علا رأس القناة رأسه وزال عنه كيده وبأسه[2]

موظفًا طاقات القصر، وما فيه من دلالات التخصيص والتوكيد، بتقديم المفعول (رأس القناة) على الفاعل (رأسه). فرأسه لا تعلو أبدًا، ولكن عندما تعلو، يكون علوها على رأس القناة.

ثم وظف الصورة الكاريكاتورية في وصف لحيته:

شيخ شر من فرعون لحيته كذنب البرذون[3]

ولا يخفى هنا دلالة البرذون، وما فيها من سخرية من لحيته التي تشبه ذنب البغل في طولها وكثافتها، ولكنها على حيوان نزعت منه صفات الإنسانية،

١ – الأرجوزة ص٤.
٢ – الأرجوزة ص٥.
٣ – الأرجوزة ص٥.

" فالبغل نَغُلٌ، وهو لذلك أهل"[1] وهو مثل يضرب لمن لا يرجى خيره لخسَّة أصله[2]؛ فللؤم أصله؛ حيث إنه ابن زنية، خبث فعله.

ووصف مظاهر ووجوه التعذيب والانتقام من هؤلاء الطغاة:

فواحد يشدخ بالعمود وواحد يدخل في السفود

وبعضهم مسمط مربوط وبعضهم في مرجل مسموط[3]

فاستطاع بمهارة فائقة أن يجعل القارئ، يشاهد تلك الصورة كأنها لوحة فنية متحركة في مشاهد تشفى لها القلوب، فمنهم من يضرب بالعمود حتى تشدخ رأسه، ومنهم من يدخل في سيخ يتقلب به في نار موقدة، ومنهم من يربط، ويلقى في مرجل يغلي، في مشهد، يوحي بالتشفي والانتقام.

- **الوظيفة التنسيقية والإبلاغية:**

حيث قام بدور المنظم الداخلي للخطاب القصصي في النص، إذ بدأ المزدوجة بالحمد والصلاة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ، ثم وظف آلية المفارقة؛ ليبرز من خلالها كيف كان حال الأمة قيل المعتضد، أيام خلافة المعتمد الذي أهمل أمور رعيته، وتشاغل بلهوه ولذاته[4]، معددا وجوه المفاسد في عصره، ثم أبرز دور المعتضد في القضاء على هذه المفاسد والفتن، في تسلسل

١ – مجمع الأمثال، للميداني، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت، ج١ص١٠٦.

٢ – ينظر الحيوان في الأدب العربي، شاكر هادي شكر، الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، ط١ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١ص١٦٢.

٣ – الأرجوزة ص٥.

٤ – ينظر التنبيه والإشراف، لأبي الحسن بن علي المسعودي المتوفى ٣٤٦هـ، تصحيح/ عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي القاهرة، ج١ص٣١٨

منطقي ترتب فيه اللاحق على السابق، وأفضى السابق إلى اللاحق، فالراوي هنا، قام بوظيفة إبلاغية، منسقا مرتبا الأحداث.

مقومات الملحمة:

لأي فن من الفنون مقومات، وأسس، يقوم عليها وتميزه عن غيره من الفنون الأدبية[١]

وبتتبع أرجوزة ابن المعتز، وجدتها تقوم على أسس ومقومات الملحمة؛ مما جعلها بالفعل ملحمة إسلامية:

- **الأسلوب:**

لا يطلق على الملحمة ملحمة بالمعنى الحقيقي، إلا إذا كان أسلوبها أسلوب القوة والبطولة، ومصدر تلك البطولة والقوة ما يأتي به البطل من أعمال عظمى، تهتز بها مشاعر الشعراء للإبداع فيه، وملحمة ابن المعتز تتجلَّى قوتها في فخامة ألفاظها، وتكونها من حروف مجهورة في معظمها، وفي قوة جرسها الذي يحاكي صليل السيوف ووقع الرماح، فيظهر في أسلوبها تدافع الجمل، وجزالة التركيب، وشحن الأصوات في كلام جزل ضخم، فلنتأمل تلك المشهد ومعاملته مع الأسرى من أعدئه:

وجعل الأسرى مكتفينا ... أغراض نبل ومغللينا
وبعضهم يحرق بالنيران ... وبعضهم يلقى عن الحيطان
وبعضهم يصلب قبل الموت ... وبعضهم يئن تحت البيت
وهزم العساكر الجليلة ... بشدَّة البأس ولطف الحيلة[٢]

---

١ – ينظر تلك المقومات في (بحث في الملحمة) رسالة المعاهد العلمية، جامعة الإمام محمد بن سعود، معهد الرياض العلمي، ١٩٧٢م ص١٢٣: ١٢٥.

٢ – الأرجوزة ص٦.

فلنتأمل دلالة (مكتفينا- مغللينا- النيران- يصلب- يئن) وما تحمله من دلالات القوة والبطولة، ومن مظاهر القوة غلبة حروف الجهر على روي ملحمته في ما يقرب من أربعمائة مرة، أمَّا حروف الهمس مجتمعة، فلم تتكرر سوى ست وعشرين مرة.

- **التصوير:**

قامت ملحمة ابن المعتز على تصوير عالم كامل، وما فيه من تفاصيل، تبين من خلالها ما عانته هذه الأمة من مظالم، فصور أفعال العلوي، موظفا دلالات اسم الفاعل- كما اتضح سابقًا-:

فلم يزل بالعلوي الخائن المهلك المخرِّب المدائن
والبائع الأحرار في الأسواق وصاحب الفجار والمرَّاق
وقاتل الشيوخ والأطفال وناهب الأرواح والأموال
ومهلك القصور والمساجد ورأس كلِّ بدعة وقائد[1]

وصور ما قام به عيسى بن الشيخ وابنه، وكيف لم تتوقف سرقته على الرعية، بل امتدت إلى الراعي:

ومنهم عيسى بن شيخ وابنه كلاهما لص حلال لعنه
يدعون للإمام كل جمعه ولا يردون إليه قطعه
وهم يجورون على الرعية فساد دين وفساد نيَّه
ويأخذون مالهم صراحا ويخضبون منهم السلاحا[2]

١ - الأرجوزة ص٤.

٢ - الأرجوزة ص٤.

يشير إلى استيلائه على فلسطين، واستبداده بالأموال، وتغلبه على إمرة دمشق، وأخذه المال عنوة من الرعية، وعدم رده إلى الراعي[١].

كما قام بتصوير بطل ملحمته، وكيف كانت شدته على أعدائه:

فكم له من شدَّة وحمله وضربة وطعنة وقتله[٢]

عزمه لا يستكين:

إن رقدوا فإنَّه لا يرقد أو قعدوا فإنه لا يقعد[٣]

يقيل عثرات المذنبين:

ويقبل المستأمن المنيبا ويغفر الزلات والذنوبا[٤]

وفيًّا بعهده:

ولا تراه ناقضًا لعهده ولا يشوب باطلا بجده[٥]

فالملحمة قائمة على تصوير أمة مستكينة ذليلة، وكيف نجح بطلها في إعادة مهابتها وقوتها.

---

١ – عيسى بن الشيخ وابنه المنصور من ولد جساس بن مرة، استولى على فلسطين جميعها، واستبدَّ بالأموال، تغلَّب على إمرة دمشق في أيام المهتدي بالله، وأوَّل أيام المعتمد، ولم يبايع المعتمد، فأنفذ إليه المعتمد أقل من ألف رجل على رأسهم قائد تركي يدعى أماجور، فنهض إليه منصور بن عيسى بن الشيخ، فلما التقوا انهزم منصور، وقتل، وصلب على باب دمشق، سنة ٢٥٧هـ، وتوفي عيسى بن الشيخ ٢٦٩هـ ينظر تاريخ دمشق لابن عساكر، ت/ عمرو بن غرامة العمروري، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢ – الأرجوزة ص٧.

٣ – الأرجوزة ص٧.

٤ – الأرجوزة ص٧.

٥ – الأرجوزة ص٧.

● **القصة:**

القصة هي أساس الشعر الملحمي، وفي تلك الملحمة قام ابن المعتز بسرد الحوادث والوقائع بشكل إخباري، بدءًا بالحمد والثناء، مرورًا بوصف حال الأمة، مبرزًا مظاهر استكانها، انتهاء بكيف أصبح حالها على أيدي المعتضد، فتوافرت في الملحمة عناصر القصة:

البداية: التي عرفنا من خلالها ببطل ملحمته، واصفًا حال الأمة قبله:

هـذا كتـاب سيـر الإمـام مهـذبًا مـن جـوهر الكـلام
أعنـي أبـا العبـاس خيـر الخلـق للملـك قـول عـالم بـالحق
قـام بـأمر الملـك لمـا ضـاعا وكـان نهبـا فـي الـورى مشـاعا[1]

الوسط: العقدة، وتأزم الموقف بكثرة وجوه المظالم والفتن والمآسي الجسام التي عانت منها الأمة على يد طغاتها:

وكـل يـومٍ ملـك مقتـول أو خـائف مـروع ذليـل
وكـم أميـر كـان رأس جـيش قـد نغصـوا عليـه كـلَّ عـيش
وكـل يـوم شـغب وعصـب وأنفـس مقتـولة وحـرب[2]

النهاية: زوال تلك المظالم على أيدي البطل المغوار:

حتَّـى قضـى الله لـه بـالفتح مـن بعـد طـول تعـب وكـدح
ونصـب النـاس لـه القبابـا وشـكروا المهـيمن الوهابـا[3]
فـالآن زال كـل ذاك أجمـع وأصـبح الجـور بعـدل يقمـع[4]

---

١ – الأرجوزة ص ٢.
٢ – الأرجوزة ص ٢.
٣ – الأرجوزة ص٧.
٤ – الأرجوزة ص١٥.

وكـــبس اللصـــوص والأفـــرادا وأمَّـــن الـــبلاد والعبـــــــادا[١]

فبعد ملكه زال كل ذلك أجمع، وكل هنا توحي بالعموم والشمول الذي جاء مقوى ب (أجمع) فلم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا وقوَّم اعوجاجها، كما أنه ردع وكف الجور بالعدل؛ فأمن البلاد والعباد.

- **الموضوع:**

دارت ملحمة ابن المعتز حول بطولة، غيرت مجرى التاريخ من سيء إلى أحسن، وهي بطولة الخليفة المعتضد الذي كان مهيبًا، شديد الوطأة؛ فخافه قواد الترك، وظلوا في عهده خانعين، بعد ما عاثوا في الأرض فسادًا:

وعرفـــوا عنـــد اللقـــاء صـــبره وشـــدَّه يـــوم الـــوغى وكـــرَّه

ســل عنــه قــيلا صــرعُه بشــيزرا وآخـــــرا وآخـــــرا وآخـــــرا

وراكبًـــا علـــى النجيـــب هاربًـــا لمَّـــا رأى مـــن فعلـــه العجائبـــا[٢]

وهنا يجب أن أشير إلى أن هناك الكثير من النقاد والأدباء من يشترط أن يكون موضوع الملحمة بعيدًا عن ذات الشاعر، وإلا خرجت عن نطاق الملحمة[٣].

وأرى أن هذا الشرط لا أساس له – وإن نحقق في ملحمة ابن المعتز، فلم يتحدث عن نفسه من قريب أو من بعيد– والدليل أن هناك الكثير من الملاحم العربية – كملحمة المتنبي– في قصيدته التي نظمها في سيف الدولة الحمداني

---

١ – الأرجوزة ص١١.

٢ – الأرجوزة ص ٧.

٣ – بنوا رأيهم على أساس أن هوميروس لم يتطرق في حديث عن نفسه، ولذا يجب ألا يتحدث أي شاعر عن نفسه؛ لأن الملحمة نوع من الشعر اللاشخصي، أو شعر غير ذاتي، ينظر الملاحم ، د. أحمد أبو زيد، عالم الفكر، عالم الفكر الكويت ط١ ١٩٨٥م مج١٦ص٨.

بعد معركة الميمونة مع الروم، حينما أغاروا سنة ٣٣٧هـ على أطراف البلاد الإسلامية، وخربوها، فقام سيف الدولة قومة لا هوادة فيها؛ حتى انتصر انتصارا، هز العالم بأسره، فنظم المتنبي قصيدته العصماء التي مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم[١]

فالمتنبي شهد المعركة، وشاهد ما حدث فيها، بل خاض غمارها، فمن غير المعقول أن يبتعد عن ذاته، وقد حضر وشهد وغامر بنفسه.

وإن كان ابن المعتز بعيدًا عن الأحداث في الملحمة، فلم نلمحه شخصيًا، ولكن نلمحه متشفيًا من قتلة أبيه وجده.

حتى إذا ما الحرب قامت سوقها بالضرب والطعن وصاح بوقها
طاروا كما طار رماد الجمر ووهبوه للرماح السمر
وتلك عقبى الغي والضلال والكفر بالرحمن ذي الجلال[٢]

فالألفاظ تفيض تشفيا (الضرب- الطعن- طاروا- رماد- الجمر- الرماح- السمر- عقبى)

ومن أبرز الأبيات التي نلمح فيها التشفي من هؤلاء الطغاة:

وجعل الأسرى مكتفينا أغراض نبل ومغللينا
وبعضهم يحرق بالنيران وبعضهم يلقى عن الحيطان
وبعضهم يصلب قبل الموت وبعضهم يئن تحت البيت
وهزم العساكر الجليلة بشدَّة البأس ولطف الحيلة[٣]

١ – ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٠٣م ص٣٨٥.
٢ – الأرجوزة ص٢٤.
٣ – الأرجوزة ص٦.

فلنتأمل دلالة (مكتفينا– مغللينا– يحرق– يلقى– يصلب– يئن–) وما تحمله من تشفي وبهجة بما حلَّ بهؤلاء.

- **خوارق العادات:**

خوارق العادات لا توجد إلا في الملحمة القديمة؛ لأنها تشتمل على أحداث خارقة، تتجاوز المعقول في تحقيقها، وإن كانت ملحمة ابن المعتز لم تقدم أحداثا فريدة من هذا القبيل، فالأحداث فيها مهما تنوعت أتت نتاج واقع محدد، ومقدمات مسبقة إلا أنها قدمت بطلا متفردا:

هزم العساكر الجليلة بشدة البأس ولطف الحيلة[١]

فمن يقضي على كل هذه الفتن، كفتنة القرامطة، التي قادها حمدان قرمط في الكوفة وقضى عليها المعتضد بقوته وبطولته:

وقد أتى حمدان مثل هذا فأدخلوه صاغرا بغداذا
وهدمت قلعته الحصينة وأخذت نعمته الثمينة[٢]
وابتهج الحق وأهل السنة وشكروا والله تلك انمنة[٣]

ومن يحارب كل هذه الجبهات والشخصيات الشريرة من الصفار:

وحارب الصفار بعد الزنج فطار إلا أنَّه في سرج
وفرَّ من قدامه فرارا وكان قدما بطلا كرارا[٤]
وسارع الصفار بالإذعان وقبل البيعة غير وان[٥]

١ – الأرجوزة ص٦.
٢ – الأرجوزة ١٢.
٣ – الأرجوزة ص١٤.
٤ – الأرجوزة ٧.
٥ – الأرجوزة ص١٠.

وكافور ذلك الجاهل المغرور، الذي أفسد في الأرض وعاث:

وما نسينا مصرع الكافور الجاهل المغلظ المغرور[1]

وعيسى بن الشيخ وابنه المنصور:

وأرسل الرسل إلى ابن عيسى وكاد أن يجعله قسيسا[2]

فآثر الحياة والهوانا وما هدي حتَّى رأى الأمانا[3]

وإسحاق البيطار:

وجاء إسحاق مطيعًا سامعًا ولم يجد شيئا سوى ذا نافعًا[4]

واللصوص الأوغاد:

وكبس اللصوص والأفرادا وأمن البلاد والعبادا[5]

وكلهم قد كان لصًّا عاديًا ما زال قِدْمًا يعمل الدواهيا

لمَّا رأى من السيوف برقا ملا السراويل الطويل زرقا[6]

فداسهم دوس الحصيد اليابس بالخيل والرجال والفوارس[7]

وفتح آمد، ذلك الحصن المنيع:

ومعظم الفتوح فتح آمد معقل كل فاجر معاند

لم تُر قط مثلها مدينة منيعة بسعدها حصينة

فلم يزل برأيه وحِيَله وحزمه في قوله وعمله

---

١ – الأرجوزة ص٧.

٢ – الأرجوزة ص١١.

٣ – الأرجوزة ص١١.

٤ – الأرجوزة ص١١.

٥ – الأرجوزة ص١١.

٦ – الأرجوزة ص١١.

٧ – الأرجوزة ص١١.

يـــــذوقها بـــــالرفق أي ذوق والجـيش حـول سـورها كـالطوق
حتَّـى اسـتغاثت بالأمـان صـاغرة وأغمـــد الســـيف بكـــفٍ قـــادره
وحـاز منهـا كـل مـا كـان جمـع فيهـــا قـــديما لكـــع ابـــن لكـــع[1]

فمن يحارب كل هؤلاء وينتصر عليها فهو– خقا– بطل أسطوري ذو شجاعة خارقة؛ حتَّى بدا له النبي– صلَّى الله عليه وسلم– في المنام، يشكره:

بـــدا لـــه النبـــي فـــي المنـــام حلـــم يقـــين لـــيس كـــالأحلام
يشـــــكره لحزمـــــه ورأفتـــــه وحســـن مـــا يفعـــل فـــي خلافتـــه
بشـــارة دلـــت علـــى الرضـــوان مـــن ربـــه ذي المـــن والإحســـان[2]

فما أجلها من رؤية كانت حسن الختام لحياة هذا البطل المغوار، فمن يكون هذا الذي شكره النبي– صلَّى الله عليه وسلم– وشهد له بالحزم، والرَّأفة، وحسن الفعال؟ إلا بطلا أسطوريا جديرا بهذا الثناء، وخليقًا بتلك البشارة التي دلت على رضوان الله– تعالى– عليه.

- **الحماسة:**

ملحمة ابن المعتز في أساسها شعر حماسي بطولي، يدور حول أحداث عظيمة حلَّت بالأمة الإسلامية على يد الجند التركي، والكثير من الطغاة، فعانت آلامًا شديدة، ومآسي جسيمة، حتَّى برز منها بطل أنقذ ما حلَّ بها، وأزال ما علق بها من خذلان وهزيمة، ومن هنا كان أسلوبها الأسلوب الحماسي المثير؛ ليلائم شخصية بطلها، فهو شديد الغيرة، رابط الجأش خارق الذكاء، صارم العزيمة:

كـــم عزمـــة بنفســـه أمضـــاها لـــم يكـــل الأمـــر إلـــى ســـواها
كـــان لنـــا كأزدشـــير فـــارس إذ جـــدَّ فـــي تجديـــد ملـــك دارس[3]

---

١ – الأرجوزة ص١٧.

٢ – الأرجوزة ص ١٩.

٣ – الأرجوزة ص٤.

لا عـــاجز الـــرأي ولا بليـــدا لكـــن شـــجاعًا يخضـــب الحديـــدا
فلـــم يـــزل عامًـــا وعامًـــا ثانيًـــا وثالثًـــــا يكابـــــد الدواهـــــيا
مجاهـــــدًا برأيـــــه ونصـــــله ومالـــــــه وقولـــــه وفعلـــــه
مســـــايفًا مطاعنًـــــا منـــــابلًا موافقًـــــا منـــــازلا مـــــحاولا[1]

فالأبيات تفيض حماسة (عزمة- أمضاها- شجاعا- الحديد- مجاهدا- مسايفا- مطاعنا- منابلا- منازلا- عاما وعاما- يكابد- الدواهيا)

عناصر الملحمة في المزدوجة:

تعد أرجوزة ابن المعتز من الملاحم الأدبية[2]؛ حيث إنَّها قصيدة قصصية طويلة، موضوعها: البطولة، تمجد بطلًا بعينه بذكر مآثره؛ حيث تتجسد فيه المثل العليا، وهذا ما يتفق مع مصطلح الملحمة[3].

---

١ – الأرجوزة ص٦: ٧.

٢ – للملاحم أنواع عدة: منها:

– الملحمة الأدبية: وهي قصيدة قصصية رفيعة الأسلوب، تحكي أعمالا بطولية، وتكون أكمل أسلوبا من الملاحم الشعبية.

– ملحمة الحيوان: وهي قصيدة قصصية طويلة، تؤدى على ألسنة الحيوان، لكنها تعني بالإنسان وقضاياه.

– الملحمة الشعبية: وهي مجهولة المؤلف، تستمد قصصها من التاريخ الوطني أو القومي، وتقوم على المعتقدات البدائية، وبطلها شخصية نبيلة.

– الملحمة الكاذبة: وهي شعر طويل مرح يتناول مادة تافهة، بطريقة مبالغ فيها، مادتها: الهزل.

– الملحمة الدينية: تعني بالقضايا الدينية التي تخص مجتمعا ما، ينظر المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، ج٢ ص٨٢٤.

٣ – حيث عرفها سعيد غلوش في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة بأنها: " قصيدة قصصية طويلة، موضوعها البطولة، تمد جماعة ما، بسرد مآثر بطل حقيقي، =

تغنَّى ابن المعتز فيها ببطولة الخليفة المعتضد الذي كسر شوكة الأتراك وأعاد للأمة مكانتها، وهيبتها، وتقسم الملحمة إلى عناصر أربعة: الابتهال إلى الله تعالى، العرض الذي يقدم الموضوع والبطل، السرد الحكائي الذي يحتل العمل الأدبي بمجموعه تقريبا، والذي يربط بين الأحداث بطريقة منطقية، الخاتمة: يجب أن تكون مدهشة ومعقولة، ومناسبة، أما الشكل، فيكون شعرًا[1] وتتميز الملحمة بالعظمة الحربية، والموضوع الشهير، وينبغي أن يكون البطل كاملًا، كما يجب أن يؤخذ الموضوع من التاريخ[2] وبتتبع تلك العناصر في أرجوزة عبد الله بن المعتز، نجدها ظاهرة جلية كالآتي:

- **الابتهال إلى الله تعالى:**

وإذا كان الابتهال إلى الإلهة عنصرا أساسا في الملحمة الأدبية القديمة، فإن ملحمة ابن المعتز تكثر فيها الابتهالات إلى الله الواحد القهار، ومن ملامح هذه الابتهالات استهلالها بذكر الله تعالى.

باسم الإله الملك الرحمن ذي العز والقدرة والسلطان
الحمد لله على آلائه أحمده والحمد من نعمائه
أبدع خلقا لم يكن فكانا وأظهر الحجة والبيانا
وجعل الخاتم للنبوة أحمد ذا الشفاعة المرجوَّة[3]

=

أو أسطوري، تتجسد فيه المثل العليا، فهي حدث تأريخي خاص له مرجعياته التي ينطلق منها، ينظر معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٥م ص ٢٠٥.

١ – موسوعة السرد العربي، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ج١ص٣٩٩.

٢ – موسوعة السرد العربي ج١ص٣٩٩.

٣ – الأرجوزة ص٢.

فاستهلها باسم (الإله) الذي أتى معرفًا بأل ولم يكن معرفًا بالعلمية (الله) وكان التعريف بأل أبلغ في هذا المقام فلا إله غيره ووصفه بالملك، فهو الملك، يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ثم أردف تلك الصفة بصفات العز والسلطان وهو ما يتناسب مع مقام الملحمة.

ومن ابتهالاته: دعاؤه للنبي- صلَّى الله عليه وسلم- بالجملة الخبرية لفظًا إنشائية معنى- في قوله:

الصادق المهذب المطهرا صلَّى عليه ربنا فأكثرا[1]

موظفا دلالة الجملة الفعلية التي جاءت في صورة الماضي الذي يفيد توكيد الحدوث (صلَّى – فأكثرا).

ومنها دعاؤه على العلوي الخائن الذي كان يلعن أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم-:

يلعن أصحاب النبي المهتدي إلا قليلا عصبة لم تزدد

فكفر الناس سواهم عنده فلعنة الله عليه وحده[2]

وجاء الدعاء هنا في صورة الخبر لفظًا إنشاء معنى- أيضًا-، ولكن في صورة الجملة الإسمية (فلعنة الله عليه وحده) التي تفيد الثبوت والدوام، موظفًا طاقات الحال (وحده) فلعنة الله لا تقع إلا عليه منفردًا، وألح على هذا الدعاء في دعائه على حمدان قرمط:

عليك لعن الخالق المهيمن إلا بنو عم النبي المؤمن[3]

---

١ – الأرجوزة ص٢.

٢ – الأرجوزة ص٥.

٣ – الأرجوزة ١٣.

وإن كنا نلحظ في دعائه على العلوي أضافة اللعنة إلى لفظ الجلالة، وفي دعائه على حمدان أضاف اللعن إلى الخالق المهيمن، حيث كان:

مراوغًـــا كالثعلـــب الجـــوَّال مستبصـــرًا فـــي الكفـــر والضـــلال

خليفـــة الأكـــراد والأعـــراب وقائـــد الفجـــار والحرابـــي

يدعونـــه أميـــر مؤمنينـــا بـــل كـــافرًا أميـــر كافريـــنا

فظن في نفسه الهيمنة والسيطرة؛ حيث أصبح خليفة، وقائدا للفجار والحرابي فاستحق اللعنة من الخالق المهيمن حقا– جل جلاله–.

●العرض:

اعتمد العرض في الملحمة على أسلوب السرد الإخباري المباشر، وفيه يظهر الراوي، ويختفي حوار الشخصيات:

ولم يظهر حوار الشخصيات إلا في موقفين، في الحوار الذي دار بين الغني الموسر الذي مات أبوه وجند هؤلاء الطغاة:

وويـــل مـــن مـــات أبـــوه موســـرًا ألـــيس هـــذا محكمـــا مشـــهرا

وطـــال فـــي دار الـــبلاء ســـجنه وقـــال مـــن يـــدري بأنـــك ابنـــه

فقـــال جيرانـــي ومـــن يعرفنـــي فنتفـــوا ســـباله حتـــى فنـــي[1]

فالحوار هنا واضح في قوله (من يدري بأنك ابنه، فقال جيراني ومن يعرفني) والحوار الذي دار بين هؤلاء الجنود والتاجر:

قيـــل لـــه عنـــدك للســـلطان ودائـــع غاليـــة الأثمـــان

فقـــال لا والله مـــا عنـــدي لـــه صـــغيرة مـــن ذا ولا جليَّلـــه

وإنمـــا أربحـــت فـــي التجـــارة ولـــم أكـــن فـــي المـــال ذا خســـارة[1]

١ – الأرجوزة ص٨.

وإن كنا أيضًا لا نعدم الحوار الداخلي أو ما يسمَّى بالمونولوج الداخلي، الذي أسهم في تحليل الذات عبر وقوفنا على مشاعرها الخاصة:

حتَّى إذا ملَّ الحياة وضجر وقال ليت المال جمعا في سقر[٢]

أي قال في نفسه (ليت المال جمعا في سقر) ف (ليت – سقر) توحي ما تحمله نفسه من آلام الحسرة والحزن، وكانت هذه الجملة من جراء مل الحياة ومن فيها وضجره بها.

- **الشخصيات:**

والشخصيات في الأرجوزة شخصيات تاريخية، لعبت دورا كبيرًا في الحراك السياسي والاجتماعي والفكري في العصر العباسي.

والشخصية المحورية هنا (الخليفة المعتضد) البطل الذي ساقه القدر للقضاء على مفاسد الشخصيات الشريرة المتعددة في الأرجوزة، فالشاعر وضع شخصيات أرجوزته في كفتين، الخليفة المعتضد في كفة، وبقية الشخصيات في أخرى التى طاشت أمام كفة المعتضد.

والشخصيات الشريرة هنا، تحارب البطل من كل اتجاه، كل شخصية لها دور في إضعاف الدولة من تجاها، مزقت ثوب الملك، إيمانهم كالشرك. فمنهم

فرعون مصر الثاني عاصي الإله وطائع الشيطان
والعلوي قائد الفساق وبائع الأحرار في الأسواق
والدلفي العود والصفار ومنهم إسحاق البيطار
أعلم خلق الله بالماخور وبحساب مثلث وزير

=

١ – الأرجوزة ص٨.

٢ – الأرجوزة ص٨.

ومنهم عيسى بن شيخ وابنه كلاهما لص حلال قتله
يدعون للإمام كل جمعة ولا يردون إليه قطعة
وهم يجورون على الرعية فساد دين وفساد نية
ويأخذون ماله صراحا ويخضبون منهم السلاحا[1]

- واالعلوي الذي ظهر بصعيد مصر، ويعرف بابن الصوفي، وملك مدينة إسنا ونهبها، وعمَّ شره البلاد والعباد[2]:
- والصفار، عمرو بن الليث الصفار، أحد زعماء الصفارية، وأحد الشجعان والدهاة، أقره المعتمد العباسي على أعمال أخيه كلها، وهي خراسان، وأصبهان، وسجستان، والسند وكرمان، وعزله المعتمد سنة ٢٧١هـ، وقامت حروب بينهما، ثم ولَّاه ٢٧٦هـ شرطة بغداد[3]
- عيسى بن الشيخ وابنه المنصور من ولد جساس بن مرة، استولى على فلسطين جميعها، واستبدَّ بالأموال، تغلَّب على إمرة دمشق في أيام المهتدي بالله، وأوَّل أيام المعتمد، ولم يبايع المعتمد، فأنفذ إليه المعتمد أقل من ألف رجل على رأسهم قائد تركي يدعى أماجور، فنهض إليه منصور بن عيسى بن الشيخ، فلما التقوا انهزم منصور، وقتل، وصلب على باب دمشق، سنة ٢٥٧هـ، وتوفي عيسى بن الشيخ ٢٦٩هـ[4]

---

١ – الأرجوزة ص٤.

٢ – ينظر الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ت/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ج٦ص٢٨٨.

٣ –

٤ – ينظر تاريخ دمشق لابن عساكر، ت/ عمرو بن غرامة العمروري، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- كافور، أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني، أحد الشعراء والبلغاء، كان في عهد المعتمد في رتبة كبار الملوك، ولما ولي العهد المعتضد، قبض عليه وعذَّبه، حتى هلك في سنة ٢٧٨هـ[١]. وعدد ابن المعتز وجوه مفاسده في صورة توحي بالجبروت والظلم

- **الفاحش فكان :**

أجرأ خلق الله ظلمًا فاحشًا وأجور الناس عقابًا بالوشى[٢]

وكان يصادر البيوت، ويأخذ الأموال، ويستحل الحرمات:

يأخذ من هذا الشقي ضيعته وذا يريد ماله وحرمـــــــته

وكان يشكك في الأنساب؛ ليستحل الأموال:

وويـــل مـــن مـــات أبـــوه موســـرًا ألـــيس هـــذا محكمـــا مشـــهرا

وطـــال فـــي دار الـــبلاء ســـجنه وقـــال مـــن يـــدري بأنـــك ابنـــه

فقـــال جيرانـــي ومـــن يعرفنـــي فنتفـــوا ســـباله حتَّـــى فنـــي[٣]

ويعدد وجوه التعذيب ما بين لكم ودفع وحبس وصفع؛ حتى يستسلم، ويدفع له ما يملك في ذل واستكانة:

وأســـرفوا فـــي لكمـــه ودفعـــه وخـــدِّرت أكفهـــم فـــي صـــفعه

ولـــم يـــزل فـــي أضـــيق الحبـــوس حتَّـــى رمـــى إلـــيهم بـــالكيس[٤]

كما كان يصادر أموال كبار التجار عنوة وقهرًا، مدعيًا بأنَّ مالهم ودائع من لدى السلطان، يجب عليهم ردها:

---

١ – ينظر سير أعلام النبلاء، للذهبي، مجموعة من المحققين، تحت إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ج١٣ص١٩٩

٢ – الأرجوزة ص٨.

٣ – الأرجوزة ص٨.

٤ – الأرجوزة ص٨.

وتـــاجر ذي جـــوهرٍ ومـــالٍ كـــان مـــن الله بحســـن الحـــال
قيـــل لـــه عنـــدك للســـلطان ودائـــــع غاليـــــة الأثمـــــان
فقـــال لا والله مـــا عنـــدي لـــه صـــغيرة مـــن ذا ولا جليلـــة
وإنمـــا أربحـــت فـــي التجـــارة ولـــم أكـــن فـــي المـــال ذا خســـارة[1]

ثم يبرز وجوه تعذيبه حتى يقر عنوة، ويدفع لهم:

فـــدخنوه بـــدخان التـــبن وأوقـــدوه بثقـــال اللـــبن
حتَّـــى إذا مـــلَّ الحيـــاة وضـــجر وقـــال ليـــت المـــال جمعـــا فـــي ســـقر
أعطـــاهم مـــا طلبـــوا فأطلقـــا يســـتعمل المشـــي ويمشـــي العنقـــا
ثـــم بنـــى مـــن الغصـــوب دارا فأصـــبحت موحشـــة قفـــارا[2]

كما ظهرت القرامطة بقيادة حمدان قرمط في الكوفة، وفي البحرين على يد أبي سعيد الجنابي، كما نشر ابن حوشب في اليمن الدعوة للمهدي، وأبو عبد الله الشيعي صاحب الدعوة الفاطمية في المغرب[3]:

وقـــد أتـــى حمـــدان مثـــل هـــذا فـــأدخلوه صـــاغرًا بغـــداذا
وهـــدمت قلعتـــه الحصـــينة وأخـــذت نعمتـــه الثمينـــة
ولـــم يـــدع مـــن بعـــده هارونـــا وكـــان رأيًـــا للشـــراة حينـــا
مراوغًـــا كالثعلـــب الجـــوَّال مستبصـــرًا فـــي الكفـــر والضـــلال
يلعـــن عثمـــان ويبـــرا مـــن علـــي والله منـــه ذو الجـــلال قـــد بـــري[4]

---

١ – الأرجوزة ص٨.
٢ – الأرجوزة ص٨.
٣ – ينظر نقض الدارمي على العربي ج١ص٢١
٤ – الأرجوزة ص١٤.

في مقابل كل هؤلاء أتى البطل الخليفة المعتضد، فكان سريع النهضة عند الحادثة، قليل الفتور، ينفرد بالأمور، ويمضي تدبيره من غير توقف، ولي الأمر بضبط وحركة وتجربة، وكف من كان يتوثب، ويتشغب من الموالي[1]؛ حتَّى أتاه النبي – صلَّى الله عليه وسلم– مبشرًا:

بـــدا لـــه النبـــي فـــي المنـــام حلـــم يقـــين لـــيس كـــالأحلام

يشـــكره لحزمـــه ورأفتـــه وحســـن مـــا يفعـــل فـــي خلافتـــه

بشـــارة دلـــت علـــى الرضـــوان مـــن ربـــه ذي المـــن والإجســـان[2]

- **استدعاء الشخصيات التراثية:**

حرص ابن المعتز في ملحمته على استدعاء الكثير من الشخصيات التراثية، مركزًا على استدعاء الشخصيات الشريرة، فعند حديثه عن أشرار الكوفة استدعى الكثير من الشخصيات الشريرة من أمثال (النمرود، وبختنصر):

مصنوعة بكفر بختنصر وكفر نمرود إمام الكفر

وهو استدعاء ينم عن وعيه إيحاءها، وإدراكه دلالتها، وتؤكد القدرة الإبداعية لديه، واتخذ منها برهانًا على ما يريد التعبير عنه في إيضاحه أخلاق أهل الكوفة عبر عصورها التاريخية:

واســـتمع الآن حـــديث الكوفـــة مدينـــة بعينهـــا معروفـــة

مصـــنوعة بكفـــر بختنصـــر وكفـــر نمـــرود إمـــام الكفـــر[3]

١ – ينظر التنبيه والإشراف ص٣٢٠.

٢ – الأرجوزة ص١٩.

٣ – الأرجوزة ص٢٣.

فهو استدعاء ليس من قبيل الصدفة، وليس مجرد ذكر أسماء، بل عن وعي بمدى غنى هذه الشخصيات بالإيحاءات الكفيلة بالتأثير على المتلقي، فبختنصر قتل وعاث فسادا في بني إسرائيل، وقتل الناس في الأزقة، وسبى ذراريهم، وخرب بيت المقدس، وألقى فيه الجيف، وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا﴾[١]

وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾[٢].

وعندما أراد ترسيخ معاني القوة والشموخ في ممدوحه، استدعى شخصية تاريخية، اتسمت بالقوة والعدل، والسيرة الطيبة؛ حتَّى صار مضرب المثل في السيرة، فقيل " سيرة أزدشير "[٣]

كم عزمة بنفسه أمضاها ... لم يكل الأمر إلى سواها
كان لنا كأزدشير فارس ... إذ جد في تجديد ملك دارس
حتى اتقوه كلهم بالطاعة ... وصار فيهم ملك الجماعه[٤]

واتخذ ابن المعتز من هذا الاستدعاء وسيلة للتعبير عن مدى عراقة هذا الممدوح وبطولته، فاستدعاء أزدشير، يعود للمعرفة الواعية للشاعر بملامح

١ – الإسراء الآية ٥.
٢ – البقرة من الآية ١١٤.
٣ – ينظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، ت/ إبراهيم صالح، دار البشائر، ط١ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ص ١٧٨.
٤ – الأرجوزة ص٤.

وسمات تلك الشخصية، وأبعادها الدلالية؛ ليعبر عمّا يريد، وليؤكد من خلالها قوة هذا الممدوح، فالشخصية المستدعاة خير دليل وشاهد على تلك القوة والبطولة.

ومن الشخصيات المستدعاة وتعد رمزا للانحراف الفكري في ذلك العصر شخصية(النمرود)

واستمع الآن حديث الكوفة مدينة بعينها معروفة

مصنوعة بكفر بختنصر وكفر نمرود إمام الكفَّر[1]

وهذا الاستدعاء يبرز مدى الجدل الفلسفي والمناظرات الفكرية في ذلك العصر ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[2]

وضاعت الأمور عند ذاكا وأظهر التعطيل والإشراكا

ومدَّح أفلاطون والفلاسفة وساعدته في هواه طائفة

وذكر السعودا والنحوسا والجوهر المعقول المحسوسا[3]

ومن هنا حارب المعتضد الفلاسفة، وأهل الجدل؛ فمنع في عهده بيع كتب الفلسفة، ومنع المنجمين؛ اتقاء الفتنة والبلبلة في أوساط العامة[4]

١ – الأرجوزة ص٢٣.

٢ – سورة البقرة الآية ٢٥٨.

٣ – الأرجوزة ص٩.

٤ – ينظر نقض الدارمي على المريسي، للدارمي، مكتبة الرشد ت/ رشيد بن حسن الألمعي ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م ج١ ص٢١

● **المكان:**

هو الحيز الجغرافي الذي يحتضن الشخصيات، وتقوم عليه الأحداث، فالشخصيات لا تعمل في فراغ، والمكان في الملحمة متسع ومتعدد؛ ليدل على ذيوع مكانة المعتضد، وبسط نفوذه في كل مكان، ومن هذه الأمكنة من ذكرها جملة بعيدة عن التفصيل، مبينًا انقيادها وطاعتها كمصر:

فأنفذت مصر إليها مالها فأصلحت حصرًا إليه حالها[1]

ومنها من ذكرها مفصلا وجوه المفاسد فيها كآمد[2]:

ومعظم الفتوح فتح آمد معقل كل فاجر معاند
لم تر قط مثلها مدينة منيعة بسعدها حصينة
فلم يزل برأيه وحيله وحزمه في قوله وعمله
يذوقها بالرفق أي ذوق والجيش حول سورها كالطوق
حتَّى استغاثت بالأمان صاغرة وأغمد السيف بكف قادرة
وحاز منها كل ما كان جمع فيها قدما لكع بن لكع[3]

فهي معقل كل فاجر، معاند، حصينة قوية، ومع ذلك لم تستعص على المعتضد، فاستغاثت من شدة بطشه بالأمان وهي صاغرة ذليلة.

ومن تلك المدن العصية التي رودها المعتضد بقوته وبطولته مدينة الكوفة:

واستمع الآن حديث الكوفة مدينة بعينها معروفة
كثيرة الأديان والأئمة وهمها تشتيت أمر الأمة

---

١ – الأرجوزة ص١٠.

٢ – أعظم مدن ديار بكر، وأجلها، وأشهرها، بلد قديم حصين، فتحت ٢٠هـ، ينظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م مج١ص٥٦: ٥٧.

٣ – الأرجوزة ص١٧.

مصـــنوعة بكفـــر بختنصـــر وكفـــر نمـــرود إمـــام الكـــفر

ولـــم يـــزل ســـكانها فجَّـــارا مستبصـرًا فـي الشـرك أو سـحَّارا[1]

فهـي مدينـة استعصـت علـى الكثيـر، هـدفها الأسـمى تشـتيت أمـر الأمـة الإسلامية، سكانها أوغاد لم يتمكن منهم أحد إلا بطلنا المغوار:

حتـى إذا مـا الحـرب قامـت سـوقها بالضـرب والطعـن وصـاح بوقهـا

طـاروا كمـا طـار رمـاد الجمـر ووهبـــوه للرمـــاح السمـــر[2]

فوصف المكان هنا نجح في تأدية دوره في إبراز بطولة وقوة المعتضد.

كذلك في وصفه (دجلة)

وكـان فـي دجلـة ألـف ماصـر لـم يعنهـا إلا جنـاح طـائر

يجبـون كـل مقبـل ومدبـر مجـاهرين بالفعـال المنكـر

كـم تـاجر راوغهـم بزورقـه فأغمـدوا سـيوفهم فـي مفرقـه

وفـرت الأعـراب فـي البـلاد وأهلكـوا إهـلاك قـوم عـاد

وكلهـم قـد كـان لصًّـا عاديـا مـا زال قـدما يعمـل الـدواهيا

لمَّـا رأى مـن السـيوف برقـا مـلا السـراويل الطـوال زرقـا

فداسـهم دوس الحصـيد اليـابس بالخيـل والرجـال والفـوارس[3]

وإن كانت الأمكنة في الملحمة مفتوحة متسعة إلا أننا لا نعدم الأمكنة المغلقة في هذه الملحمة، ومن هذه الأمكنة المغلقة (السجن) الذي كان وسيلة في أيدي الطغاة في تعذيب الرعية:

وطـال فـي دار الـبلاء سـجنه وقـال مـن يـدري بأنـك ابنـه

---

١ – الأرجوزة ص ٢٣.

٢ – الأرجوزة ص٢٤.

٣ – الأرجوزة ص١١.

ولـم يـزل فـي أضـيق الحبـوس حتَّـى رمـى إلـيهم بـالكيس[١]

فالسـجن دار للـبلاء، وسـيلة مـن وسـائل الاضـطهاد والتعـذيب لابتـزاز الأموال، وهي وسيلة ناجحة ف (رمى إليهم بالكيس).

- **الزمن:**

تمتدُّ أحداث الملحمة في مساحات زمنية واسعة، وإن كان لا يصعب تحديد زمنها؛ لأنها ملحمة تاريخية جرت أحداثها في زمن الخليفة المعتضد، لم يحفل الشاعر بالتوقيت، فلم يحدد يومًا، أو شهرًا، أو عامًا بعينه، إلا في نهاية الملحمة التي حدد فيها تاريخ وفاة البطل:

ومات بعد مائتين قد خلت في عام تسع وثمانين مضت[٢]

اعتمد ابن المعتز فيها على المفارقات الزمنية في سرده التي من شأنها إبطاء سرد الأحداث، أو تسريعها، أو تشويق السامع لمتابعتها، ومن هذه المفارقات:

- **الاستباق:**

ولمَّا كانت الملحمة تاريخية، تناولت أحداث تاريخية مسبقة، وكانت مروية بصيغة المتكلم شاعت فيها مفارقة الاستباق؛ لأن هذه المفارقة أكثر شيوعًا في النصوص المروية بصيغة المتكلم[٣]، والاستباق في هذه الملحمة، لم يفقدها عنصر التشويق والمفاجأة، بل اكتسب أهميته في إثارة السامع وجذبه لمتابعة الأحداث، والشخصيات، ورصد تحولات الأمة من أمة ذليلة مستكينة إلى أمة

١ – الأرجوزة ص٨.

٢ – الأرجوزة ص٢٤.

٣ – ينظر معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان بيروت، ط١، ٢٠٠٢م ص١٥.

ثابتة الأركان والأساس مع كل وجوه الشر المتربصة بها، ومن استباق ابن المعتز:

مضى وأبقى لبني العباس ميراث ملك ثابت الأساس

برغم كل حاسد يبغيه بهدمه كأنه يبنيه[1]

فنهاية أحداث الملحمة، تعرف عليها السامع من خلال هذا الاستباق؛ ممَّا يثير القارئ ويدفعه لمتابعة الأحداث، ومعرفة هؤلاء الحساد الذين يبغون هدمه بأفعالهم، وفتنهم وكيف تم هذا التحول من ملك:

مذللا ليست له مهابه يخاف إن طنت به ذبابة[2]

إلى ملك ثابت الأركان والأساس، فالاستباق هنا معلن، ليخبرنا بكل صراحة عمَّا يحدث في المستقبل، وهو هنا يساعد على التشويق بذكر تلك الإشارات والإيماءات التي من شأنها أن تثير سؤلات السامع، من هذا الحاسد؟ وكيف سعى في هدمه، وكيف تغلب عليه البطل، وأصبح ركنه ثابت الأساس؟ ومن استباقاته التي تثير التشويق في نفس السامع:

قام بأمر الملك لما ضاعا وكان نهبًا في الورى مشاعا[3]

فالاستباق هنا في (قام بأمر الملك): فكيف قام بأمر هذا الملك مع أنَّه ضائع نهب في جميع الخلق؟ مما يدفع القارئ لمتابعة الأحداث؛ ليتسنى له أن يعرف كيف أقامه ذلك الملك المغوار بعد ضياع؟!

١ – الأرجوزة ص٢.

٢ – الأرجوزة ص٢

٣ – الأرجوزة ص٢.

- **الاسترجاع:**

نجح ابن المعتز في توظيف آلية الاسترجاع في ملحمته في إبراز القيمة الدلالية للمقارنة بين عهدين، فقام باسترجاع أفعال طغاة الأمة، وكيف كان حال الأمة جرَّاء أفعالهم، :

وكم أمير كان رأس جيش قد نغَّصوا عليه كل عيش
وكم فتى قد راح نهبا راكبا إما جليس ملك أو كاتبا
وكان قد مزق ثوب الملك طوائف إيمانهم كالشرك[1]

وكيف صارت على يد المعتضد:

ولم يزل ذلك دأب الناس حتَّى أغيثوا بأبي العباس
فجمع الرأي الذي تفرقا وأبرأ الداء الذي أعي الرقى[2]

فالاسترجاع هنا أتى بدوره وهو إبراز الصورة الأسطورية لبطل ملحمته الخليفة المعتضد، وخاصة إذا وضعنا صورتي حال الأمة نصب أعيننا قبل وبعد المعتضد الذي نجح في أن يرقع خرق الأمة، فلم يستطع أعداؤها أن يهون ما رقع.

ونجح ابن المعتز في توظيف الاسترجاع في الكشف عن ماضي الشخصيات، حيث تضمن تقديما للشخصية، والتعريف بها، وهو ما يعرف بالاسترجاع المعلوماتي[3] كما في قوله:

وما نسينا مصرع الكافور الجاهل المخغظ المغرور

---

١ – الأرجوزة ص٣.

٢ – الأرجوزة ص٤.

٣ – ينظر تقنيات الخطاب السردي بين الرواية والسيرة الذاتية، دراسة موازنة، أحمد العزي صغير، وزارة الثقافة والسياحة اليمن ٢٠٠٤م ص١٨٠.

إذ قـــدر الخلافـــا والعصـــيانا فـــزاده رب العـــلا هـــــوانا[1]

فيتساءل سائل من الكافور هذا، فأتت الإجابة:

يكنَّـــى بصـــقر وأبـــوه بلـــبل هـــذا لعمـــري باطـــل لا يقبـــل
مـــا زال فـــي نخوتـــه وتيهـــه لا يأخـــذ الصـــواب مـــن وجوهـــه
يجهْـــور اللفـــظ إذا تكلَّمـــا ويزجـــر العـــافي والمســـلما
أجـــرأ خلـــق الله ظلمًـــا فاحشًـــا وأجـــور النـــاس عقابًـــا بالوشـــى[2]

ومن أهم وظائف الاسترجاع في الملحمة أنه قام برسم صورة المرحلة التاريخية التي تعرضها الملحمة، وما تخللها من فتن وحروب؛ وصراعات ومآسي عانت من ويلاتها الأمة:

وكـــل يـــوم شـــغب وغصـــب وأنفـــس مقتولـــة وحـــرب
وكـــل يـــوم عســـكرا فعســـكرا بـــالكرخ والـــدور مواتـــا أحمـــرا
ويطلبـــون كـــلَّ يـــوم رزقـــا يرونـــه دينـــا لهـــم وحـــقا
كـــذاك حتَّـــى أفقـــروا الخلافـــة وعودوهـــا الرعـــب والمخافـــة[3]

كما قام الاسترجاع بدور الرابط بين الأحداث فيما بينها، وسد الثغرات التي يخلقها السرد الحاضر، وذلك عند حديثه عن الكوفة، فقد يتساءل سائل، لم كانت الكوفة خاصة كان همها تشتيت الأمة، وكانت هدفًا لبطل ملحمته؛ ليجعلها تحت سيطرته؛ فاسترجع تاريخها مع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فاسترجع موقفها مع سيدنا نوح:

وهربت سفينة الطوفان منها إلى الجودي والأركان[4]

---

١ – الأرجوزة ص٧.
٢ – الأرجوزة ص٨.
٣ – الأرجوزة ص٣.
٤– الأرجوزة ص٢٣.

وموقفها مع سيدنا إبراهيم:

وهم رموا في النار إبراهيما لمَّا رأوا أصنامهم رميما[١]

وموقفهم مع سيدنا دانيال:

ودانيالا طرحوا في الجب كفرًا وشكًّا منهم في الرب[٢]

وخذلانهم عليا والحسين:

وخذلوا وقتلوا علـــــيا العادل البر التقي الزكـيـا

وقتلوا الحسين بعد ذاكا فأهلكوا أنفسهم إهلاكـــا

ثم بكوا من بعده وناحوا جهلا كذاك يفعل التمساح[٣]

وأرى أنَّ ابن المعتز وظف (الاسترجاع والاستباق) في كل حدث من أحداث ملحمته، فكان يبدأ بالاستباق، تشويقًا، ثم يسترجع تفصيلا، فكأن الملحمة قائمة على هاتين المفارقتين فعند حديثه عن العلوي مثلا يأتي بكيف كانت نهايته، ثم يسترجع ليعلمنا كيف كانت هذه النهاية

١ – الأرجوزة ص٢٣.

٢– الأرجوزة ص٢٣.

٣ – الأرجوزة ص٢٣.

- **سمات ملحمة ابن المعتز[1]:**

تميزت الملحمة عن غيرها من الفنون الأدبية بمجموعة من السمات، وبالدراسة المتأنية لأرجوزة ابن المعتز يتضح أنها تحمل الكثير من هذه السمات، سواء من حيث الشكل، أو المضمون:

- **سمات الشكل:**

- أتت الملحمة في ثوب شعري، يدل على مهارة ابن المعتز في الغناء والموسيقى؛ لأنه من أصحاب الآذان الدقيقة التي تزن جرس الكلام، فهو يحاول أن يلذها بأنغامه وألحانه، مستغلا الوحدات الصوتية لبحر الرجز، والدفعة الموسيقية التي أبى إلا أن يكررها كل بيت عن طريق الأبيات المزدوجة، فهي تتألف من شطرين شطرين، وكل شطرين يتحدان في قافيتهما فهو فهم الزخرف الحسي، زخرف الجناس والطباق والتصوير والمشاكلة، فلنتأمل:

الساهر العزم إذا العزم رقد الحاسم الداء إذا الداء ورد

وأجمع الرأي الذي تفرقا وأبرأ الداء الذي أعي الرقى[2]

فالبيت الأول شطراه أتيا على صور واحدة مقسمة بدقة وعناية أحسن تقسيم (اسم الفاعل+ معموله+ أسلوب الشرط المحذوف جوابه)، وكذلك البيت

---

١ – حدد أرسطو مجموعة من السمات التي تتميز بها الملحمة عن بقية الفنون الأدبية، من حيث الشكل والمضمون، ومن هذه السمات:

– الملحمة شعر خال من التصنع والتكلف، وتعتمد على التصوير البارع.

– الملحمة في الأصل محاكاة للأخيار، تعزز مسألة التغلب والانتصار على الأشرار في كلام موزون، وغير ذلك من السمات، ينظر بقية هذه السمات في فن الشعر، أرسطو طاليس، تحقيق وترجمة، شكري عياد، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠١٢، ص١٣٦.

٢ – الأرجوزة ص٤.

الثاني حيث أتى شطرا البيت على صورة واحدة (الفعل الماضي+ معموله+ اسم موصول وقع نعتًا للمعمول+ صلته) موظفا طاقات الطباق بين (السهر رقد) (أجمع تفرقا) (أبرأ الداء)

- أتت الملحمة محاكاة للأخيار، معززة مسألة التغلب والانتصار على الأشرار في كلام موزون مقفى، كما اتضح في ثنايا البحث.
- جرت الملحمة على طريقة القصص، تقمص الشاعر فيها دور القاص، بعيدًا عن الأحداث، والقصص في الملحمة متعددة، مما أتاح لها الطول، وتعدد القص في تلك الملحمة لا تعني انتفاء الوحدة اموضوعية في الملحمة، بل تعني تأكيدها فكل قص يبرز وجها من وجوه المفاسد التي قام بها الأشرار، وكيف نجح البطل في القضاء عليه فالجبهات التي يحاربها الشاعر كثيرة، كل جبهة قائدها بطل مغوار له قصته الخاصة به التي تبرز وجوه مفاسده، ومن تلك القصص قصص الفتيات المغتصبات، فكم فتاة غصبوه، وإذا تكلم زوجها، نتفت لحيته؛ لقلة حيلته:

وكم فتاة خرجت من منـــزل فغصبوها نفسها في المحفـــل
وفضحوها عند من يعرفهـــا وصدفوا العشيق كي يقرفهـــا
وحصل الزوج لضعف حيلته على تقلِّيه ونتف لحيـــــته[1]

إنها صورة قصصية تثير الأسى والشجن، كقصة كافور مع الموسر الذي يموت أبوه، فيشكك في نسبه، حتى لا يرثه، ويؤتى بشهود الزور، ويرمى في محبسه، حتى يضيق عليه العيش، فيعطى له ما يطمع إليه:

وويـــل مـــن مـــات أبـــوه موســـرًا ألـــيس هـــذا محكمـــا مشـــهَّرا
وطـــال فـــي دار الـــبلاء ســـجنه وقـــال مـــن يـــدري بأنَّـــك ابنـــه

١ – الأرجوزة ص٣.

فقـــال جيرانـــي ومـــن يعرفنـــي فنتفـــوا ســـباله حتَّـــى فنـــي
وأســـرفوا فـــي لكمـــه ودفعـــه وخـــدِّرت أكفهـــم فـــي صـــفعه
ولـم يـزل فـي أضـيق الحبـوس حتَّـــى رمـــى إلـــيهم بـــالكيس[1]

ومع كبار التجار، فكانوا يدعون بأن أموالهم وديعة من ودائع السلطان عندهم، ويجب ردها، فيسمونهم العذاب؛ حتَّى يملوا الحياة، فيعطونهم ما يطلبون:

وتـــاجر فـــي جـــوهر ومـــال كـــان مـــن الله بحســـن حـــال
قيـــل لـــه عنـــدك للســـلطان ودائـــــع غاليـــــة الأثمـــــان
فقـــال: لا والله مـــا عنـــدي لـــه صـــــغيرة مـــــن ذا ولا جُليَّلـــــه
فـــــدخنوه بـــــدخان التـــــبن وأوقـــــدوه بثقـــــال اللـــــبن
حتَّـــى إذا مـــلَّ الحيـــاة وضـــجر وقـال ليـت المـال جمعًـا فـي سـقر
أعطـــاهم مـــا طلبـــوا فأطلقـــا يســتعمل المشــي ويمشــي العنقــا[2]

- تنقل بالسامع بين مواضع مختلفة؛ لينفي عنه السآمة والملل، وليخلق داخله حالة من الحنق والضيق؛ حتَّى يشاركه حنقه وغيظه، ويعيش معه حالة التشفي والانتقام، فانتقل من وصف حال الأمة المستكينة الذليلة إلى وصف صور إذلالها وقهرها، من اغتصاب الفتيات، إلى قتل الأمراء، إلى إذلال الأغنياء والتجار، إلى وجوه التعذيب التى ارتكبها هؤلاء الطغاة، متنقلا بين طاغية وطاغية بذكر اسمه وأفعاله التي تشيب لها الولدان من فرعون مصر الثاني، إلى العلوي، والدلفي والصفار، وكافور والبيطار، وعيسى بن الشيخ وابنه

١ – الأرجوزة ص٨.

٢ – الأرجوزة ص٨.

- تنقل الملحمة العالم المتصور إلى الماضي[١]، وتربطه به فنقلتنا الملحمة إلى ماضي هذه الأمة المستكينة الذليلة، وكيف كانت تحيا حياة الخنوع؛ ليربطها بالحاضر المشرق، وهذا على عكس ما يدور في الملاحم اليونانية وغيرها، فكانت الملحمة، تركز على الماضي بوصفه الجانب المشرق في حياة الأمة؛ تنفيسًا وتسلية عن الحاضر المظلم، أما في هذه الملحمة فالماضي مظلم، وأما الحاضر فأصبح مشرقًا بفضل بطلها.
- الكلام الملحمي بأسلوبه، وشكله، ونبرته يختلف عن الكلام في الفنون الأخرى، إذ إن السامع والشاعر يشكلان جزءا لا يتجزأ من الملحمة، وكلاهما يجد نفسه في مستوى واحد من القيم[٢] فالسامع والشاعر في أرجوزة ابن المعتز اتحدا في القيم والشعور، فكأن الشاعر ينطق بلسان السامع، وينبض بقلبه، فالنبرة في الملحمة نبرة القوة والتشفي، التي نلمحها عند الشاعر والمتلقي.
- اعتمدت الملحمة على التصوير البارع، وقد شغف خاصة بالتشبيه، فهو الغالب على شعره [٣]، فهو أشعر الشعراء في الأوصاف والتشبيهات[٤] حيث نراه يظهر في استخدامه مهارة فائقة، فمن مهاراته في هذا الجانب هذه

١ – يرى باختين أن ترحيل العالم السردي في الزمن الماضي والحديث عنه كماض هو خاصية شكلية، قبل أن تكون مضمونية؛ إذ إن ما يكون مضمونا هو ما يتم الحديث عنه، أي الماضي نفسه، وليس كيف يتم الحديث عنه، ينظر الرواية والملحمة، ميخائيل باختين، معهد الإنماء العربي بيروت ط١ ١٩٨٢م ص٣٢.

٢ – ينظر الرواية والملحمة، ميخائيل باختين، ص٣٢.

٣ – ينظر العمدة لابن رشيق

٤ – ينظر معاهد التنصيص

التشبيهات التي نجح من خلالها في إبراز صور تعذيب هؤلاء الطغاة لأبناء الأمة:

وعلقـــوه فـــي عـــرى الجـــدار كأنَّـــــه بـــــرادة فـــــي الـــــدار

وصـــفقوا قفـــاه صـــفق الطبـــل نصـــــبا بعـــين شـــامت وخـــل

وحمـــروا نقرتـــه بـــين النقـــر كأنهـــا قـــد خجلـــت مـــن نظـــر[1]

فكل تشبيه يرسم لوحة فنان في رسمه منظرا بائسا كئيبا، فعلق المسكين الذليل على جدار الحائط، كأنَّه برادة (مروحة) في الدار، ولا يخفى دلالة التشبيه بالمروحة، فهي داائرة غير مستقرة، تلتف يمينا وشمالا، فهم لم يكتفوا بتعليقه، بل بصب السياط على جسمه، فلا يسكن جسمه أبدًا كبرادة الحائط، ثم وظف دلالة التشبيه البليغ الذي أتى على صورة المفعول المطلق، حيث شبه صفع قفاه لطما بصفع الطبل، ولا يخفى ما في صفع الطبل من تتابع سريع، فكأنه يصفع صفعا متواليا لا هدنة فيه، ثم وظف دلالة التشبيه في إبراز حالة هذا المسكين وانكساره وذله، بتشبيه حمرة نقرة عنقه من أثر ربطها وشدها، كحمرة وجه فتاة عذراء قد خجلت من نظر، ويتضح من خلال التشبيه مدى الذل والمهانة، حيث جعلوهم كالحريم، والملحمة حبلى بالتشبيهات التي تدل على ما أكده النقاد أن ابن المعتز اعتنى عناية خاصة بالتشبيهات[2]، فشبه أتباع القرامطة والشيعة بالحمير:

صاحب قوما كالحمير جهله وكل شيء يدعيه فهو له[3]

ووظف دلالة الحسام القاطع وجعله مشبها به في تشبيهه بطل ملحمته:

وولي الملك إمام عـــــادل قائل كل حكمة وفاعل

---

١ – الأرجوزة ص١٤.

٢ ينظر تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص٣٣٧.

٣ – الأرجوزة ص٥.

مثل حسام العضب في جلائه غدا به صيقله بمائه[١]

وغير ذلك من التشبيهات، التي تدل وتظهر مقدرة ممتازة لابن المعتز؛ حيث استطاع من خلال لون واحد (التشبيه) رسم لوحات مختلفة وكأنها متعددة الألوان.

- **سمات المضمون:**

- تشكل البطولة جانبا مهما من جوانب الملحمة، فالمعتضد يمتلك قدرة خارقة، استمدها من إيمانه بالله تعالى، استطاع بها القضاء على أعداء الأمة، وتوطيد أركان مملكته.
- يشكل الجانب الديني مركزا مهما في موضوع الملحمة:

ولو أضاع الناس هذا الدينا لقعدوا يبغونه سنينا[٢]

حيث كان الطعن في الدين، وتشكيك الناس في عقائدهم من أهداف هؤلاء الطغاة، فظهرت الفرق التي استثقلت الصلاة، وطعنوا في الفقه والحديث، وأنكروا البعث:

واستثقلوا من قام للصلاة فكيف من طوَّل في القراة
وطعنوا في الفقه والحديث وعجبوا من ميت مبعوث[٣]
وضاعت الأحكام والشرائع ولم يكن للناس أمر جامع
وقرت العين من الشيطان بما يرى في أمة الإيمان[٤]
وهل رضا إلا أبو العباس الواسع الحلم الشديد الباس
ما زال يأتي لك ما تريد حتَّى أتى براسه البريد

١ – الأرجوزة ص١٠.
٢ – الأرجوزة ١٣.
٣ – الأرجوزة ص١٠.
٤ – الأرجوزة ص١٣.

وابـــتهج الحـــق وأهـــل الســـنة وشـــــكروا والله تلـــــك المنـــــة

وأصـــــبح الـــــروافض الفجَّـــــار يخفـــون حزنـــا فوقـــه استبشـــار[1]

- موضوعها الأساس الصراع مع قوى الشر التي تعددت وجوهه في الملحمة، من صراع ديني وعقائدي، إلى صراع سياسي الذي كان مستعرا على كرسي الخلافة، وصراع مذهبي وفكري، حيث شهد عصر البطل فتنا وثورات هنا وهناك، وفي نهاية الصراع ينتصر البطل على تلك القوى:

حتَّى إذا ما الحرب قامت سوقها بالضرب والطعن وصاح بوقها

طاروا كما طار رماد الجمـــــر ووهبوه للرماح السمـــــــر[2]

فطاشت قوى الشر أمام بطولة ذلك البطل الأسطوري الخليفة المعتضد.

- تتميز الملحمة بالوحدة الموضوعية، فالموضوعات التي وردت فيها كانت لإضفاء العظمة على الحدث الأساس وهو تصوير البطولة لبطلها الخليفة المعتضد، فأتت الموضوعات الجانبية في النص كحديثه عن أفاعيل الشيعة مبرزة دوره وهيمنته، كما اتضح آنفًا.
- استندت الملحمة بشكل رئيس إلى ما يشبه الأسطورة، فما فعله المعتضد أشبه بما فعله أساطير الأمم من خوارق العادات.
- موضوع الملحمة هو التأريخ البطولي لبطل أسطوري مسلم وهو الخليفة العباسي المعتضد.
- لم ينقطع العالم الملحمي في هذه الملحمة عن الزمن الحاضر، فالزمن الحاضر يضيق أهله ذرعا بما يفعله أعداء الأمة في كل مكان في الدول الإسلامية، ولننظر ما يفعله الصهاينة في أهل غزة، فنحن بحاجة ماسة إلى بطل أمثال هؤلاء الأبطال، يعيد لأمتنا مكانتها وهيبتها.

---

١ – الأرجوزة ص ١٤.

٢ – الأرجوزة ص٢٤.

الخاتمة:

- لابن المعتز في الشعر منزلة رفيعة، فهو من الشعراء المطبوعين، واسعي الفكر.
- عدَّه البعض أشعر أهل زمانه، وقيل عنه: أشعر قريش.
- أجاد وأحسن في أغلب أبواب الشعر من خمر، وغزل، ومدح....
- تعدُّ أرجوزته في مدح المعتضد من أجمل ما كُتِبَ من أراجيز في الشعر العربي، تدلُّ على طول النفس، وخصوبة الموهبة.
- تعد هذه الأرجوزة ملحمة إسلامية، فبها نرد على من ادَّعى أن الشعر العربي خال من الملاحم الشعرية.
- موضوع الملحمة هو التأريخ البطولي لبطل أسطوري، وهو الخليفة العباسي المعتضد، وصراعه مع قوى الشر التي تعددت وجوهه في الملحمة.
- اعتمد العرض في الملحمة على أسلوب السرد الإخباري المباشر، وفيه يظهر الراوي، ويختفي حوار الشخصيات:
- تنقل فيها بالسامع بين مواضع مختلفة؛ لينفي عنه السآمة والملل، وليخلق داخله حالة من الحنق والضيق؛ حتَّى يشاركه حنقه وغيظه، ويعيش معه حالة التشفي والانتقام، من قتلة جده وأبيه.
- تحمل ملامح ملحمية واضحة؛ حيث صوَّرت المواقف البطولية العظيمة في تاريخ المعتضد بأسلوب حماسي، يعتمد على فخامة الألفاظ وقوتها.
- قام الراوي – الشاعر – بالوظيفة السردية الوصفية، والتنسيقية الإخبارية.
- تقوم الأرجوزة على أسس ومقومات الملحمة من (أسلوب حماسي، وتصوير البطولة، وقصة، وموضوع يدور حول البطولة، وخوارق عادات)؛ مما جعلها ملحمة إسلامية.
- توافرت في الأرجوز عناصر الملحمة الأدبية (الابتهال إلى الله– تعالى– ، العرض، الشخصيات، واستدعاء الشخصيات التراثية، حيث حرص على

استدعاء الكثير من الشخصيات التراثية، مركزًا على الشخصيات الشريرة، وهو استدعاء ينم عن وعيه إيحاءها، وإدراكه دلالتها، وتؤكد القدرة الإبداعية لديه، واتخذ منها برهانًا على ما يريد التعبير عنه.

- الملحمة مروية بصيغة المتكلم، شاعت فيها مفارقة الاستباق، كما نجح في توظيف آلية الاسترجاع؛ لإبراز القيمة الدلالية للمقارنة بين عهدين.
- المكان في الملحمة متسع ومتعدد؛ ليدل على ذيوع مكانة المعتضد، وبسط نفوذه في كل مكان.
- أتت الملحمة في ثوب شعري منظومة على بحر الرجز في صورة المزدوجة ، يدل على مهارة ابن المعتز في الغناء والموسيقى.
- اعتمدت الملحمة على التصوير البارع، وقد شغف خاصة بالتشبيه، فهو الغالب على شعره.
- يشكل الجانب الديني جانبًا مهمًّا من جوانب الملحمة.
- تتميز تلك الملحمة بالوحدة الموضوعية، فالموضوعات التي وردت فيها كانت لإضفاء العظمة على الحدث الأساس، وهو تصوير البطولة.

المصادر والمراجع:

- أرجوزة ابن المعتز ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م المطبعة الجمالية القاهرة.
- الأوراق، قسم أخبار الشعراء، للصولي، مطبعة الصاوي ط١، ديسمبر ١٩٣٦م.
- (بحث في الملحمة) رسالة المعاهد العلمية، جامعة الإمام محمد بن سعود، معهد الرياض العلمي، ١٩٧٢م .
- البيان والتبيين للجاحظ، ت/ عبد السلام هارون ط٢، مكتبة الخانجي مصر، ١٩٦٠.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان،علق عليه د. شوقي ضيف، دار الهلال.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- تاريخ دمشق لابن عساكر، ت/ عمرو بن غرامة العمروري، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- تقنيات الخطاب السردي بين الرواية والسيرة الذاتية، دراسة موازنة، أحمد العزي صغير، وزارة الثقافة والسياحة اليمن ٢٠٠٤م.
- التنبيه والإشراف، لأبي الحسن بن علي المسعودي المتوفى ٣٤٦هـ، تصحيح/ عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي القاهرة.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، ت/ إبراهيم صالح، دار البشائر، ط١ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٠٣م.
- الرواية والملحمة، ميخائيل باختين، معهد الإنماء العربي بيروت ط١ ١٩٨٢م.

- سير أعلام النبلاء، للذهبي، مجموعة من المحققين، تحت إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- الشعر الجاهلي (نشأته- فنونه- صفاته) بحث أدبي انتقادي، فؤاد البستاني، بيروت ١٩٢٧م.
- الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٦ ١٩٨٦م.
- العمدة لابن رشيق، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥/ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- فن الشعر، أرسطو طاليس، تحقيق وترجمة، شكري عياد، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠١٢م.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف ط١١، دار المعارف القاهرة.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ت/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- لسان العرب، لابن منظور، مادة (لحم) ج١٣، دار صادر بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- المثل السائر، لابن الأثير، قدمه، وحققه، وعلق عليه، د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة القاهرة.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله بن محمد المجذوب، دار الآثار الإسلامية ، وزارة الإعلام الصفاة، الكويت ط٢/ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- المصطلح السردي، جراند برانس، ترجمة، عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ط١ ٢٠٠٣م.
- معاهد التنصيص، لأبي الفتح العباسي، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب بيروت.

- معجم الأدباء ياقوت الحموي، ت/ د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط١ ١٩٩٣م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٥م. من حديث الشعر والنثر، طه حسين، دار المعارف مصر، ط١ ١٩٣٦م.
- معجم العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ت/ د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال بيروت.
- المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- الملاحم ، د. أحمد أبو زيد، عالم الفكر، عالم الفكر الكويت ط١ ١٩٨٥م.
- معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- من حديث الشعر والنثر، طه حسين، دار المعارف مصر، ط١ ١٩٣٦م.
- موسوعة السرد العربي، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- نقض الدارمي على المريسي، للدارمي، مكتبة الرشد ت/ رشيد بن حسن الألمعي ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط٣/ ١٩٩٧م.
- وقفة مع الأدب الملحمي، هدى لوشن، جامعة الشارقة عمان، ٢٠٠٣م ص١١.